

إدواردو غليانو



12.6.2015

أبناء الأيام

رواية



ترجمة : صالح علماني



إدواردو غليانو

أبناء الأيام

@ketab_n

رواية

ترجمة: صالح علماني



أبناء الأيام

□ إيواردو غليانو

□ أبناء الأيام

□ جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

□ الطبعة الأولى 2013

□ الإخراج الضوئي: هالا خليل

□ الناشر: **دال للنشر والتوزيع**

سورية - دمشق - ص.ب: 29170

هاتف: 00963 944 464830

البريد الإلكتروني: n_hammdan@yahoo.com

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without permission in writing form the publisher.

العنوان الأصلي للكتاب

Eduardo Galeano 2012

Los hijos de los días



وانطلقت الأيام ماشية،
وهي، الأيام، من صنعتنا،
هكذا رحنا نولد،
نحن أبناء الأيام،
المتقصين،
الباحثين عن الحياة.

(سفر التكوين ، بحسب شعب المايا)

كانون الثاني / يناير

1 كانون الثاني

اليوم

ليس هذا اليوم هو أول يوم في السنة عند المايا واليهود والعرب والصينيين وآخرين كثيرين من سكان هذا العالم.

تحديد هذا اليوم اخترعته روما، روما الإمبراطورية، ثم باركته روما الفاتيكان، ويبدو من المبالغة القول إن البشرية بأسرها تحتفل بهذا التجاوز لحدود الأعوام.

ولكن أجل، لا بد من الاعتراف: الزمن شديد اللطف معنا، نحن الرحالة العابرين فيه عبوراً سريعاً، وهو يمنحنا الإذن بأن نعتقد أنه يمكن لهذا اليوم أن يكون الأول بين الأيام، وكما نعتقد أنه يوم بهيج مثل ألوان محل خضار وفاكهة.

2 كانون الثاني

من النار إلى النار

في هذا اليوم من العام 1492 سقطت غرناطة، وسقطت معها إسبانيا المسلمة.

إنه انتصار محاكم التفتيش المقدسة. فغرناطة هي آخر مملكة إسبانية كان يمكن فيها للمساجد والكنائس والكنس أن تتجاوز. في العام نفسه بدأ غزو أمريكا، حين كانت أمريكا لا تزال سراً غامضاً بلا اسم بعد. وفي السنوات التالية، في محارق متباعدة، أحرقت النار نفسها الكتب الإسلامية والعبرية وكتب سكان أمريكا الأصليين. فالنار هي مستقر كلام ولد في الجحيم.

3 كانون الثاني

الذاكرة الجواله

في اليوم الثالث من العام 47 قبل المسيح، احترقت أشهر مكتبة في الأزمنة القديمة.

الجيوش الرومانية غزت مصر، وخلال إحدى معارك يوليوس قيصر ضد شقيق كليوباترا، التهمت النيران القسم الأكبر من آلاف و آلاف لغائف البردي في مكتبة الإسكندرية.

بعد ألفيتين من ذلك غزت جيوش الولايات المتحدة العراق، وخلال حرب جورج دبليو بوش الصليبية ضد العدو الذي اخترعه هو نفسه، تحول إلى رماد القسم الأكبر من آلاف و آلاف كتب مكتبة بغداد.

في تاريخ البشرية كله، كان للكتب ملجأ آمن واحد فقط من خطر الحروب والحرائق: المكتبة الجواله التي كانت فكرة خطرت لوزير بلاد فارس الأكبر، عبد القاسم إسماعيل، في أواخر القرن العاشر.

إنه رجل حذر. فذلك الرحالة الذي لا يعمل السفر كان يحمل مكتبته معه. أربعمئة جمل تحمل مئة وسبعة عشر ألف كتاب، في قافلة تمتد كيلومترين طويلاً. وكانت الجمال تُستخدم كذلك فهرساً للكتب: كل مجموعة من الجمال تحمل العناوين التي تبدأ بواحد من حروف الأبجدية الفارسية الاثني عشر والثلاثين.

4 كانون الثاني

أرض تدعو

اليوم، في العام 1643، ولد إسحاق نيوتن. ومن أجل العلم بالأمر، لم يكن لنيوتن قط أي عاشقين أو عاشقات. مات بكرةً، لم يمسه أحد، ومرعوباً من رعب عدوى الأمراض ومن الأشباح.

لكن هذا السيد الرعديد كان يتمتع بجرأة اختراع وكشف:

حركة الكواكب،

تركيب الضوء،

سرعة الصوت،

توصيل الحرارة

وقانون الجاذبية، قوة الأرض الجاذبة التي لا تُقاوم والتي تدعونا

وتذكرنا وهي تدعونا بأصلنا ومصيرنا.

5 كانون الثاني

ارض تقول

حلم جورج كارفن بالرب.

- اطلب مني ما تشاء - قال له الرب.

جورج، وهو ابن عبيد، كرس حياته من أجل انبعاث الأرض التي

اغتالها زراعات العبودية.

وفي مختبره الذي يبدو أشبه بمطبخ خيميائي، حضر مئات المنتجات

المشتقة من الفول السوداني والبطاطا الحلوة: زيت، جبن، زبد، صلصا،

مايونيز، صابون، مَلُونات، أصبغة، دبس، صمغ، بودرة...

- النباتات تقول لك كله - كان يوضح - وهي تقدمه لمن يحسن

الاستماع إليها.

عندما مات، في هذا اليوم من عام 1943، كان عمره أكثر من

ثمانين عاماً وكان لا يزال يبيت الصفات والنصائح، ويعطي دروساً في

جامعة نادرة الغرابة: أول جامعة في ألاباما تقبل طلاباً زنوجاً.

6 كانون الثاني

ارض تنتظر

في العام 2009، أعادت تركيا الجنسية التي أنكرتها على ناظم

حكمت واعترفت، أخيراً، بأن شاعرها المحبوب والمكروه أكثر من

الجميع، كان تركيا.

لم يستطع هو نفسه أن يعلم بالخبر الطيب: لأنه كان قد مات قبل

نصف قرن في المنفى، حيث أمضى الشطر الأكبر من حياته.
أرض موطنه كانت تنتظره، لكن كتبه كانت محظورة فيها، وهو نفسه
أيضاً.

المنفي كان يريد العودة:

ما زالت لدي أشياء أفعلمها.

اجتمعت مع النجوم، لكنني لم أستطع أن أحصيها.

أخرجت ماءً من البئر، لكنني لم أستطع تقديمها.

ولم يرجع قط.

7 كانون الثاني

الحفيدة

كان من عادة سوليداد، حفيدة رافائيل باريت، تذكر جملة
لجدها:

- إذا لم يكن الخير موجوداً، يجب اختراعه.

ورافائيل باراغواي بالاختيار، وثورى بالميل الطبيعي، أمضى في
السجن وقتاً أطول مما أمضاه في البيت، ومات في المنفى.

حفيدته اخترقتها رصاصات في البرازيل، في هذا اليوم من عام 1973.

العزيز أنسيلمو، بحار متمرد، وقائد ثوري، هو من سلمها.

ملٌ من كونه خاسراً، وندم على كل ما آمن به وأحبه، فوشي
برفاقه في النضال ضد الدكتاتورية العسكرية البرازيلية، وشى بهم واحداً
واحداً، وأرسلهم إلى التعذيب أو المسلخ.

أما سوليداد، زوجته، فأبقاها حتى النهاية.

العريف أنسيلمو أشار إلى المكان الذي كانت تختبئ فيه ، وابتعد.
وكان قد صار في المطار حين دوت أولى الطلقات.

8 كانون الثاني

لا أقول وداعاً

في العام 1872، وبأمر من رئيس الإكوادور، جرى إعدام مانويلا ليون رمياً بالرصاص.

في الحكم عليها، أطلق الرئيس على مانويلا اسم «مانويل»، كيلا يترك دليلاً على أن سيداً مثله قد أرسل امرأة إلى جدار الإعدام، حتى لو كانت هندية جلقة.

كانت مانويلا قد هيجت أراضي وقرى، وقادت الهنود للتمرد ضد دفع الضرائب والعمل العبودي. وإذا كان هذا كله قليلاً، فقد أقدمت على وقاحة تحدي النقيب بايخو للمبارزة، وهو أحد ضباط الحكومة، أمام أعين جنوده المذهولين. وفي ميدان المبارزة أهين سيفه برمحها.

حين جاء يومها الأخير، في هذا اليوم، واجهت مانويلا فصيلة الإعدام دون عصابة على عينيها. وعندما سُئلت إن كان لديها ما تقوله، أجابت، بلغتها الهندية:

- مانابي.

(لا شيء).

منهج الإيجاز

في هذا اليوم، عام 1776، طُبعت في فيلادلفيا الطبعة الأولى من *الحس السليم*.

يؤكد توماس باين، مؤلف الكتاب، أن الاستقلال كان مسألة حس سليم ضد الإذلال الاستعماري والملكية الوراثية المضحكة التي يمكن لها أن تتوج أسداً أو حماراً دون أي تمييز.

هذا الكتاب المؤلف من ثمان وأربعين صفحة انتشر أكثر من الماء والهواء، وكان أحد آباء استقلال الولايات المتحدة.

في العام 1848، كتب كارل ماركس وفريدريك إنجلز صفحات *البيان الشيوعي* الثلاث والعشرين الذي يبدأ بالتحذير: *شعب يخيم على أوروبا... فكان هذا العمل هو الأكبر تأثيراً في ثورات القرن العشرين.*

وست وعشرون صفحة هو مجموع صفحات الدعوة إلى الاستنكار التي وزعها ستيفان هيسيل في العام 2011. هذه الكلمات القليلة ساعدت على حدوث زلزال احتجاجات في مدن عديدة. آلاف المستنكرين اجتاحوا الشوارع والساحات، لأيام وليال طويلة، ضد دكتاتورية المصرفيين والحربيين الكونية.

أبهاد

السيارة تمضي وهي تعطس.

ومع اهتزاز تعثرها، كان الموسيقيون محشورين بداخلها. إنهم

ذاهبون لبعث السعادة في اجتماع للفلاحين، ولكنهم يمضون منذ وقت طويل ضائعين في دروب سنتياغو دل إيستيرو المتهبة.
لم يجد الضائعون من يسألونه. ليس هنالك أحد، لم يبق أحد في تلك القفار التي كانت غابات.
وفجأة ظهرت سحابة غبار، طفلة تركب دراجة.
- كم بقي للوصول؟ - سألوها.
فقالت:
- ما بقي أقل.
وغابت في الغبار.

11 كانون الثاني

متعة الذهاب

في العام 1887 ولد، في سالتا، الرجل الذي كان قفزة: خوان كارلوس دافالوس، مؤسس سلالة موسيقيين وشعراء.
وحسب ما تقوله الأقوال، كان أول ملاح لسيارة فورد T في تلك الأنحاء من شمالي الأرجنتين.
عبر الدروب تأتي سيارته الفورد T، مزمجرة ومدخنة.
بطيئة تأتي. السلاحف تجلس بانتظارها.
أقترب منه أحد الجيران. حياها بقلق، وعلق:
- ولكن يا بون دافالوس... بهذا البطء لن تصل أبداً.
فأوضح خوان له:
- أنا لست ذاهباً كي أصل. إنني أذهب من أجل الذهاب.

12 كانون الثاني

تعجل الوصول

في صباح هذا اليوم من عام 2007، قدّم عازف كمان حفلة كونشرتو في إحدى محطات مترو مدينة واشنطن.

مستنداً إلى جدار بجانب حاوية قمامة، عزف الموسيقي الذي يبدو كأحد فتيان الأحياء لمدة ثلاثة أرباع الساعة.

ألف ومئة شخص مروا دون أن يخففوا مشيهم المتعجل. سبعة توقفوا أكثر من هنيهة. لم يصفق أحد. هنالك أطفال رغبوا في التوقف، لكن أمهاتهم جرّرتهم.

لم يعرف أحد أن العازف هو جوشوا بيل، أحد أهرع العازفين وأشدهم تقديراً في العالم.

صحيفة *الواشنطن بوست* هي من نظمت ذلك الكونشرتو. وكانت تلك طريقتها في السؤال:

- هل لديك وقت للجمال.

13 كانون الثاني

ارض تجار

في العام 2010، ابتلع زلزالٌ قسماً لا بأس به من هايتي وخلف أكثر من مئتي ألف قتيل.

في اليوم التالي، قام بات روبرتسون، واعظ تلفزيوني أنجليكاني، بتوضيح الأمر من الولايات المتحدة: كشف راعي الأرواح ذاك أن الزنوج

الهايتيين مذنبون بحريتهم. وأن الشيطان الذي حررهم من فرنسا، يتقاضى منهم الحساب الآن.

14 كانون الثاني

اللجنة الهايتية

زلزال هايتي توج مأساة طويلة لبلاد بلا ظل وبلا ماء، دمرها الجشع الاستعماري والحرب ضد العبودية.

السادة المخلوعون عن عروشهم يفسرون الأمر بطريقة أخرى: السبب في التعاسات كلها كان ولا يزال هو «الغودو». لأن الغودو لا تستحق أن تُسمى ديانة. فهي ليست سوى شعوذات آتية من أفريقية، وسحر أسود، وأمور زئوج، وشيء من الشيطان.

الكنيسة الكاثوليكية التي لا يعدم فيها وجود مؤمنين لا يتورعون عن بيع أظفار قديسين وريش من جناح الملاك جبرائيل، تمكنت من التوصل إلى اعتبار تلك الشعوذات محظورة قانونياً في هايتي، في العام 1845، ثم 1860، و1896، و1915، و1942.

وفي الأزمنة الأخيرة صارت المعركة ضد الشعوذة من مسؤولية الطوائف الأنجليكانية. وهذه الطوائف تأتي من بلاد بات روبرتسون نفسها، وهي بلاد لا طابق 13 في عماراتها، ولا صف مقاعد 13 في طائراتها، وحيث أكثرية المسيحيين المتحضرين ممن يؤمنون بأن العالم جرى صنعه على يد الرب خلال أسبوع.

15 كانون الثاني

الحداء

في العام 1919، جرى اغتيال الثورية روزا لوكسمبورغ في برلين. القتلة هشموا عظامها بأعقاب البنادق وألقوا بها في مياه قناة. وخلال الطريق ضاعت فردة من حدائها. يدُ ما التقطت فردة الحداء تلك الملقاة في الوحل. لقد عاشت روزا حياتها كلها وهي تناضل من أجل عالم لا يُضحى فيه بالعدالة باسم الحرية، ولا يضحى بالحرية باسم العدالة. في كل يوم، تلتقطُ يدُ تلك الراية الملقاة في الوحل... كحداء.

16 كانون الثاني

القانون المبلول

في هذا اليوم من عام 1920، أقر مجلس شيوخ الولايات المتحدة قانون منع الكحول المعروف بـ قانون الجفاف. وهكذا تأكد، مرة أخرى، أن المنع هو أفضل طريقة للترويج: بفضل قانون الجفاف، ازدهرت صناعة الخمر المحظورة واستهلاكها، وقام آل كابوني وجماعته بالقتل وتحقيق الأرباح أكثر من أي وقت آخر. في العام 1933، اعترف الجنرال سميدلي باتلر الذي قاد مارينز الولايات المتحدة على امتداد ستة عشر وساماً، بأن نجاحات آل كابوني في شيكاغو كانت مصدر إلهام لشبانته في ثلاث قارات.

17 كانون الثاني

الرجل الذي أعدمَ الربَّ رمياً بالرصاص

في العام 1918، في موسكو، وفي أوج الهياج الثوري. ترأس أنتولي لوناتشارسكي المحكمة التي حاكمت الرب.
أجلس كتاب مقدس على مقعد المتهمين.
وحسب رأي المدعي العام، كان الرب قد اقترف، على امتداد التاريخ، الكثير من الجرائم بحق الإنسانية. المحامي الذي مثل الدفاع تفرع بأن الرب فاقد للأهلية، لأنه يعاني من خَرَفٍ شيخوخي شديد؛ ولكن المحكمة حكمت عليه بالموت.
في فجر هذا اليوم، وُجِهت خمس زخات من رصاص الرشاشات نحو السماء.

18 كانون الثاني

ماء مقدس

في أزمنة محاكم التفتيش المقدسة، كان يُشتبه بأن الإسبان الذين يستحمون هم هراطقة مسلمون.
فمن محمد جاء تقديس الماء.
محمد ولد في الصحراء، في حوالي العام 570، وفي الصحراء، مملكة العطش، أسس ديانة أتباع الماء.
كان يقول إن الرب، وهو يسميه الله، قد أمره بأن يقول: في الطريق إلى الخلاص، لا بد من الصلاة خمس مرات في اليوم، وحنني

الجمد حتى تلامس الذقن الأرض، وقبل كل صلاة يجب التطهر بالماء.
- النظافة نصف الإيمان - هذا ما كان يقوله.

19 كانون الثاني

معه ولد عصر جديد

في العام 1736، ولد الاسكتلندي جيمس واط
يقال إنه لم يكن مخترع الآلة البخارية، ولكنه هو على كل حال
من عرف كيف يطورها، دون ادعاءات كبيرة، وفي ورشة متواضعة
أنجب مصدر طاقة الثورة الصناعية.
منذ ذلك الحين، وانطلاقاً من تلك الآلة ولدت آلات أخرى حوّلت
الفلاحين إلى عمال، وبإيقاع دواري صار اليوم يتحول إلى أمس، وأرسل
يوم أمس إلى ما قبل التاريخ.

20 كانون الثاني

أفهي مقدسة

في العام 1585، في مؤتمرهم الكنسي الثالث، حظر أساقفة المكسيك
رسم أو نحت أفاع على جدران الكنائس أو على ألواح المذابح أو على
المذابح نفسها.
في ذلك الحين انتبه مستأصلو عبادة الأوثان أن أدوات الشيطان
تلك لا تثير الاشعثزاز ولا الرعب في نفوس الهنود.
الوثنيون يقدمون الأفاعي. فالأفاعي المزدرة في التقاليد التوراتية،
منذ مسألة إغواء آدم، كانت في أمريكا أفاعي محبوبة. فهذا الحيوان

الزاحف المتلوي هو بشير محاصيل وفيرة، وبرق يجلب المطر، وفي كل غيمة توجد أفعى ماء. والرب كيتسالكوائل الذي ذهب في دروب الماء، كان أفعى مجنحة.

21 كانون الثاني

كانوا يمشون على الماء

في العام 1779، شهد الفاتح الإنكليزي جيمس كوك مشهداً غريباً جداً، في جزيرة هاواي.

لقد كانت تسلية شديدة الخطورة بقدر ما هي عصية على التفسير: على شواطئ كيالاكيكوا كان الوطنيون يستمتعون بالوقوف فوق الأمواج وتركها تتقادهم.

هل كان كوك هو المشاهد الأول للرياضة التي نسميها الآن «سورف»؟

ربما كان الأمر أكثر من ذلك. ربما كان هنالك شيء في طقس الأمواج ذاك. فأولئك البدائيون يعتقدون أن الماء، أم الحيات كلها، كان مقدساً، ولكنهم لا يركعون ولا ينحنون أمام ألوهيته. بل يمشون فوقه، في توافق مع طاقته.

بعد ثلاثة أسابيع من ذلك، طعن كوك على يد أولئك المشائين على الماء. فالملاح الكريم الذي أهدى أستراليا للتاج البريطاني، كان راغباً في أن يهدي إليه هايتي أيضاً.

22 كانون الثاني

تنقلات مملكة

في هذا اليوم من شهر يناير عام 1808، وصلت إلى شواطئ البرازيل، بلا خبز ولا ماء، السفن التي كانت قد انطلقت قبل شهرين من لشبونة.

كان نابليون يجوس خريطة أوروبا، وكان قد بدأ باجتياز حدود البرتغال عندما دوى الانفجار: البلاط البرتغالي غيرَ عنوانه، فقد انتقل إلى المنطقة الاستوائية.

الملكة ماريا ترأست عملية الانتقال. وفي أثرها ذهب الأمير ولي العهد والدوقات، والكونتات، والفيسكونتات، والركيزون والبارونات، ومعهم الشعور المستعارة والزينات الفاخرة التي ورثها كرنفال ريو دي جانيرو في ما بعد. ومن ورائهم، متزاحمين بيأس، جاء أساقفة وقادة عسكريون، ووصيفات، وخياطات، وأطباء، وقضاة، وكتابٌ عدول، وحلاقون، وكتبة، وحذاؤون، وبستانيون...

لم يكن رأس الملكة ماريا على ما يرام، كيلا نقول إنها كانت مجنونة تماماً، ولكنها هي من نطقت الجملة العاقلة الوحيدة التي سُمعت في مستشفى المجانين ذاك:

– لا تقرأكوا بسرعة، وإلا بدأ الأمر كما لو أننا هاربون!

23 كانون الثاني

أمٌ داعية حضارة

في العام 1901، في اليوم التالي الذي تلا زفرة الملكة فيكتوريا

الأخيرة، بدأت في لندن تحضيرات أبهة جنازتها المهيبة. لم يكن التنظيم سهلاً. فتلك الملكة تستحق مية عظيمة، وهي التي منحت اسماً لعصر بكامله وقدمت مثلاً في إنكار الذات النسوية بارتدائها الحداد، طيلة أربعين عاماً، على ذكرى زوجها المتوفى. فكتوريا، رمز الإمبراطورية البريطانية، سيدة ومليكة القرن التاسع عشر، هي من فرضت الأفيون على الصين، والحياة الفاضلة على أمتها. وفي مركز إمبراطوريتها كانت إجبارية قراءة الأعمال التي تعلم احترام الأساليب الحميدة. فكتاب الإتيكيت لليدي غوو، المنشور عام 1863، يعرض بعض وصايا العصر الاجتماعية: يجب أن نتجنب، على سبيل المثال، التقارب الذي لا يُغفر بين كتب المؤلفين الذكور وكتب المؤلفات النساء على رفوف المكتبات. ويمكن لتلك الكتب أن تتلاصق فقط إذا كان المؤلف والمؤلفة مرتبطين برابطة الزواج، مثلما هي حال روبرت واليزابيث باريت براوننيغ.

24 كانون الثاني

أبٌ داعية حضارة

في العام 1965، مات وينستون تشرشل. في عام 1919، عندما كان يترأس المجلس الجوي البريطاني، قدم أحد دروسه المتواترة عن فن الحرب:
لا أستطيع أن أفهم كل هذا التمتع عن استخدام الغازات. إنني مؤيد جداً لاستخدام الغاز السام ضد القبائل غير المتحضرة. سيكون لهذا العمل أثر أخلاقي جيد، وسينشر رعباً دائماً.
 في العام 1937، وأمام اللجنة الملكية لفلسطين، قدم واحداً من

دروسه كثيرة التواتر حول تاريخ البشرية:

أنا لا أوافق على أنه قد اقترُف أي شيء سيئ مع نوي الجلود الحمراء في أمريكا، ولا الزوج في أستراليا، حين جاء عرق أقوى، عرق من نوعية أفضل، واحتل أمكنتهم.

25 كانون الثاني

حق الصعلكة

شعب نيكاراغوا يحتفل بالغوينغوينسي، ويضحك معه. في هذه الأيام، أيام عيده، تتحول الشوارع إلى منصات استعراض حيث يروي هذا الصعلوك ويغني ويرقص، وبنعمته وفضله يتحول الجميع إلى رواة ومغنين وراقصين.

الغوينغوينسي هو أبو مسرح الشارع في أمريكا اللاتينية. منذ بدء الأزمنة الاستعمارية وهو يأتي ليعلّم فنون العلم الدساس الداهية:

– ما لا تستطيع كسبه، تعادل فيه. وما لا تستطيع التعادل فيه عقده.

ومنذ ذلك الحين، وقرناً بعد قرن، لم يتوقف الغوينغوينسي عن التظاهر بالجنون، وعن اختراع كلمات لا تعني شيئاً، وعن أن يكون معلّم شيطانات يحسده الشيطان عليها، ومزبل مهانة المهانين، واللعب الذي يُلعب به ويتلاعب بالآخرين.

26 كانون الثاني

التأسيس الثاني لبوليفيا

في هذا اليوم من العام 2009، قال الاستفتاء الشعبي نعم للدستور الجديد الذي اقترحه الرئيس إيفو موراليس.
حتى ذلك الحين لم يكن الهنودُ أبناءً لبوليفيا: كانوا يدها العاملة وحسب.

في العام 1825، منح الدستور الأول المواطنة لثلاثة أو أربعة بالمئة فقط من السكان. أما الآخرون من الهنود والنساء والفقراء والأميين، فلم يُدعوا إلى الحفلة.

بالنسبة لكثيرين من الصحفيين الأجانب، بوليفيا بلاد لا يمكن حكمها، لا يمكن فهمها، لا يمكن التعامل معها، غير مرئية. لقد أخطؤوا بـ (غير): كان عليهم أن يعترفوا أن بوليفيا، بالنسبة إليهم، بلاد غير مرئية. ولا شيء غريب في ذلك. فحتى يومنا هذا، كانت بوليفيا بلاداً عمياء عن نفسها أيضاً.

27 كانون الثاني

مكي تسمع العالم

ولد اليوم، من عام 1756، فولفغانغ أماديوس موزارت.
قرون بعد ذلك، حتى الأطفال حديثو الولادة صاروا يحبون الموسيقى التي خلفها لنا.
لقد ثبت، مرات عديدة وفي أمكنة كثيرة، أن حديثي الولادة يبكون

أقل وينامون بصورة أفضل حين يسمعون موسيقى موزارت.
إنها أفضل ترحيب بهم إلى العالم، وأفضل طريقة للقول لهم:
- هذا هو بيتكم الجديد. وهكذا هو وقعه.

28 كانون الثاني

كي تقرا العالم

عندما لم تكن المطبعة قد وُجدت بعد، شكل الإمبراطور شارلمان
فِرَقَ كتبةٍ تُسَاحِ موسعة، حققوا في آخن أفضل مكتبة في العالم.
شارلمان الذي ساعد كثيراً في القراءة، لم يكن يعرف القراءة. وأمياً
مات في بدايات العام 814.

29 كانون الثاني

صامتاً أقول

اليوم ولد أنطون تشيخوف، في العام 1860.
كتبَ كمن لا يقول شيئاً.
وقد قال كل شيء.

30 كانون الثاني

المنجنيق

في 1933 جرى تعيين أدولف هتلر مستشاراً لألمانيا. بعد قليل أقام

احتفالاً ضخماً، مثلما يليق بالسيد الجديد وحلم الأمة.

وبتواضع صرخ:

– إنني أسس عصر الحقيقة! استيقظي يا ألمانيا! استيقظي!

الأسهم والألعاب النارية، ونواقيس الكنائس، وأناشيد الحماسة
ضخمت الأصداء.

قبل خمس سنوات من ذلك، حصل الحزب النازي على أقل من
ثلاثة بالمئة من الأصوات.

قفزة هتلر الأولمبية إلى القمة كانت استعراضية جداً مثل السقوط
المتزامن نحو الهاوية للأجور والوظائف والنقد وكل ما سوى ذلك.
ألمانيا التي أصابها الانهيار العام بالجنون، أطلقت حملة ملاحقة
ضد المذنبين: اليهود، الحمر، الشاذين جنسياً، الغجر، المتخلفين
ذهنياً، ومن لديهم وسواس التفكير كثيراً.

31 كانون الثاني

من رياح نحصن

اليوم ولد، في العام 1908، أتالبا يوبانكي.
في الحياة كانوا ثلاثة: الجيتار، والحصان، وهو. أو أربعة إذا ما
حسبنا الريح معهم.

شباط / فبرایر

1 شباط

أميرال مضت

ولد بلاس دي ليثو في غيبوثكوا، عام 1689. أميرال الأسطول الإسباني هذا هزم القراصنة الإنكليز على شواطئ البيرو، وأخضع مدينة جنوة القوية، واستسلمت له مدينة وهران الجزائرية، وفي كارتاخينا دي إندياس أذل الأسطول البريطاني، وكان يقاتل بكثير من المكر وقليل من السفن. في معاركه الاثنتين والعشرين، أطاحت قذيفة مدفع بإحدى ساقيه، وقلعت شظية إحدى عينيه، وخلفتها طلقة بندقية بذراع واحدة. أطلقوا عليه تسمية نصف إنسان.

2 شباط

الربة في الحفلة

في هذا اليوم تقدّم شواطئ الأمريكيتين التكريم لـ «إيمانيا». في هذه الليلة، الربة الأم للأسماك التي جاءت منذ قرون من أفريقيا في سفن العبيد، تنتصب في الزبد وتفتح ذراعيها. ويحمل البحر إليها أمشاطاً، وفراشي، وعطورا، وأقراص عجة، وحلويات، وتقدمات أخرى

من البحارة الذين يموتون من أجلها حباً وخوفاً.
أقرباء وأصدقاء إيمانيا يهرعون عادة إلى الحفلة آتين من الأوليمب
الأفريقي:

ابنها شانغو الذي يقلت أمطار السماء؛
وأوكسوماريه، قوس قزح، حارس النار؛
وأوغون، الحداد والمحارب، اللعوب وزهر النساء؛
وأوشون، العاشقة التي تنام في الأنهار ولا تمحو أبداً ما تكتبه،
واكسو الذي هو إبليس عوالم الجحيم، وهو كذلك يسوع الناصري.

3 شباط

الكرنفال يفتح جناحيه

في العام 1899 جنت شوارع ريو دي جانييرو وهي ترقص على
أنغام الموسيقى التي افتتحت تاريخ كرنفال ريو.
تلك الموسيقى الشهوانية تدعى **فتح الأجنحة**. إنها اختراعٌ
موسيقيٌّ برازيليٌّ يستهزئُ برقصات الصالونات المتخشبة.
مؤلفتها تدعى شيكينها غونزاغا، وكانت مؤلفةً موسيقية منذ
الطفولة.

في السادسة عشرة من عمرها زوّجها أبواها، وكان ماركيز كاكسياس
اشبين ذلك الزواج.

في العشرين من عمرها، خيّرهما الزوج بين بيت الزوجية أو
الموسيقى:

- **لستُ أفهم الحياة دون موسيقى** - قالت له، وغادرت البيت.

عندئذ أعلن أبوها أن شرف العائلة قد تلتخ، وشكا من أن شيكينها قد ورثت الميل إلى الضياع عن جدة زنجية. واعتبرها ميتة، وحظر أن يُذكر اسم الابنة الضالة في بيته.

4 شباط

التهديد

كان اسمها خوانا آغيلار، ولكنهم كانوا يدعونها خوانا الطويلة، بسبب حجم بظرها الفاضح.

تلقت محكمة التفتيش شكاوى عديدة عن ذلك الإفراط الإجرامي، وفي العام 1803 أصدرت محكمة غواتيمالا الملكية الأمر للجراح نرسيو إسباراغوسا بأن يفحص المُتهمة.

أصدر عالم التشريح هذا حكمه بأن خوانا تناقضُ النظام الطبيعي، وحذّر من أنه يمكن للبظر أن يكون خطيراً، مثلما هو معروف جيداً في مصر وفي ممالك شرقية أخرى.

5 شباط

بصوتين

ترعرعتا معاً: القيثارة وبيوليتا باراً. عندما تنادي إحداهما، تهرع الأخرى إليها.

هي والقيثارة كانتا تضحكان، تبكيان، تتساءلان، تؤمان.
القيثارة لها ثقب في صدرها.
وهي أيضاً.
في هذا اليوم من عام 1967، نادتها القيثارة ولم تهرع بيوليتا إليها.
لم تعش بعد ذلك اليوم قط.

6 شباط

الصرخة

ولد بوب مارلي في الفقر، وسجل أغانيه الأولى وهو ينام على أرضية
الاستوديو.
خلال سنوات قصيرة صار ثرياً ومشهوراً ونام على فراش من ريش
محتضناً ملكة جمال العالم، وكان معبود الحشود.
ولكنه لم ينسَ قط أنه لم يكن هو نفسه فقط.
بصوته كان يغني صمتُ الأزمنة الماضية المدوي، حثلات وغضب العبيد
المحاربين الذين سببوا الجنون لأسيادهم، طوال قرنين، في جبال جاميكا.

7 شباط

الصاعقة السابعة

روي سوليفان، حارسُ غاباتٍ في فيرجينيا، ولد في العام 1912، وفي
هذا اليوم السابع، وتجاوز حياً سبعَ صواعق خلال سبعين عاماً من حياته:
في 1959، انتزعت صاعقةٌ ظفر أحد أصابع قدمه؛

في 1969، أطاحت صاعقة ثانية بحاجبيه ورموشه؛
 في 1970، شوت صاعقة أخرى كتفه اليسرى؛
 في 1972، خلّفته صاعقة أخرى بلا شعر؛
 في 1973، أحرقت صاعقة أخرى ساقيه؛
 في 1976، شقت صاعقة أخرى أحد كاحليه؛
 في 1977، فحّمت صاعقة أخرى صدره وبطنه.
 ولكن لم تأت من السماء الصاعقة التي هُتّمت رأسه في العام 1983.
 يقولون إنها كانت كلمة، أو صمتاً، من امرأة.
 هكذا يقولون.

8 شباط

التقبيل العام

في العام 1981، حدثت في مدينة سوروكابا البرازيلية مظاهرة شعبية فريدة من نوعها.
 في أوج الدكتاتورية العسكرية، صدر أمرٌ قضائي يحظر القبلات التي تشكل انتهاكاً للأخلاق العامة. قرار القاضي مانويل موراليس الذي يفرض عقوبة على تلك القبلات يصفها على النحو التالي:
 هنالك قبلات لبيدوية مَرَضِيَّة، مثل القبلة على العنق، وعلى أعضاء الحياء، الخ...، ومثل القبلة السينمائية التي يختلط فيها لعاب الشفاه في إفاضة حسية غير محتشمة.
 ردّت المدينة على القرار بتحولها إلى متلازمة تقبيل. لم يُقبَل أحدٌ بتلك الكثرة قطّ. الحظر ضاعف الرغبات، وهنالك كثيرون أرادوا، بدافع الفضول المجرد، أن يعرفوا ما هو مذاق القبلة غير المحتشمة.

مرمر يتنفس

أفروديت هي أول امرأة عارية في تاريخ النحت الإغريقي. نحتها براكسيتليس بعباءة منزلقة عند قدميها، فطالبت مدينة كوس بأن يُلبسها. ولكن مدينة أخرى، كنيديو، رحبت بها وقدمت لها معبداً؛ وفي كنيديو عاشت الربة الأكثر امرأة بين الربيات، والأكثر ربوبية بين النساء.

وعلى الرغم من أنها كانت محبوسة ومحروسة، لم يكن بمقدور الحراس منع غزو المجنونين بها.

في يوم مثل هذا اليوم، ملّت أفروديت من كثرة الحراسة، وهربت.

انتصار للحضارة

حدث ذلك شمالي نهر أروغواي. سبع بعثات تبشيرية للكهننة الجزويت قُدمت هدية من ملك إسبانيا إلى حميه ملك البرتغال. وكانت الهدية تتضمن الثلاثين ألف هندي غواراني الذين كانوا يعيشون هناك.

رفض هنود الغواراني الانصياع، والكنهنة الجزويت الذين اتهموا بالتواطؤ مع الهنود أعيدوا إلى أوروبا.

في هذا اليوم من عام 1756، على هضاب كايبواتيه، تم إلحاق الهزيمة بمقاومة السكان الأصليين.

انتصر جيش إسبانيا والبرتغال، أكثر من أربعة آلاف جندي ترافقهم خيول ومدافع وأعدادٌ من لصوص الأراضي وصيادي العبيد.

الحصيلة النهائية، حسب المعطيات الرسمية :
قتلى السكان الأصليين، 1723.
قتلى إسبان، 3.
قتلى برتغاليون، 1.

11 شباط

لا

بينما كان العام 1962 يولد، قامت فرقة موسيقية، مؤلفة من جيتارين، وجيتار خفيض، وآلة نقر، بتسجيل اسطوانتها الأولى في لندن. رجع الفتيان إلى ليفربول وجلسوا ينتظرون. كانوا يعدّون الساعات، يعدون الأيام. وعندما لم تبق لهم أظفار يقضمونها، في يوم مثل هذا اليوم، تلقوا الردّ. شركة ديكا ريكوردنغ كومباني قالت لهم بكل صراحة :
- فرق الجيتارات آخذة بالاختفاء والتلاشي.
البيتلز لم ينتحروا.

12 شباط

يوم الرضاعة من الأم

تحت السقف المتوج لمحطة تشينغدو، في سيشوان، مئات الشابات الصينيات يبتسمن للصورة. جميعهن يزدهين بأثواب متماثلة جديدة.

جميعهن شعورهن مسرحة للتو، وجميعهن مغتسلات ومكويات.
جميعهن أنجبن مواليدهن للتو.
ينتظرن القطار الذي سيقلهن إلى بكين.
وفي بكين، جميعهن سيُرضعن أطفالاً أخريات.
أولئك البقرات الحلابات سيتلقين أجوراً جيدة وتغذية جيدة.
وفي أثناء ذلك، بعيداً عن بكين، في قرى شيشوان، سيرضعُ
أبناؤهن حليبَ مسحوق مذاب.
جميعهن يقلن إنهن يفعلن ذلك من أجل صغارهن، كي يوفرن لهم
تعليماً جيداً.

13 شباط

خطر اللهب

في العام 2008، بينما كان ميغيل لوبيث روتشا يتقافز في ضواحي
مدينة غوادالاخارا المكسيكية، انزلق وسقط في نهر سنتياغو.
كان عمر ميغيل ثمانية أعوام.
لم يمت غرقاً.
مات مسمماً.
ففي النهر زرنبيخ، وحمض كلور ماء، وزئبق، وكروم، وورصاص،
تُلقيها في مياهه شركات أفينتس، وباير، ونستله، وآي. ب. ام،
ودوبونت، وشيروش، ويوناييتد بلاستيك، وسيلانيس، وشركات أخرى
يحظر عليها في بلدانها تقديم تلك الهبات.

14 شباط

اطفال مسروقون

أبناء الأعداء كانوا غنيمة حرب للدكتاتورية العسكرية الأرجنتينية التي سرقت أكثر من خمسمئة طفل من حديثي الولادة. ولكن عدداً أكبر من الأطفال سرقتهم، خلال زمن أطول بكثير، الديمقراطية الأسترالية، بإذن من القانون وتصفيق من الجمهور. في العام 2008، تقدم الوزير الأول الاسترالي، كيفن رود، باعتذار إلى السكان الأصليين الذين انتزع منهم أبناؤهم خلال أكثر من قرن. كانت الوكالات الحكومية والكنائس المسيحية قد اختطفت الأطفال ووزعتهم على عائلات بيضاء، من أجل إنقاذهم من الفقر والانحراف، ومن أجل تحضيرهم وإبعادهم عن العادات الهمجية. من أجل تبييض الزنوج، هذا ما كانوا يقولونه.

15 شباط

اطفال آخرون مسروقون

– الماركسية هي أقصى حالات المرض الذهني – هذا ما أقره الكولونيل أنطونيو بايخو ناخيرا، المحلل النفسي الأعلى في إسبانيا الجنراليسمو فرانثيسكو فرانكو. فهو درس، في السجون، الأمهات الجمهوريات، وتأكد له أن لديهن غرائز إجرامية. ومن أجل حماية نقاء العرق الإيبيري، المهذب بالانحطاط الماركسي والإجرام الأمومي، جرى اختطاف آلاف الأطفال حديثي الولادة أو

صغار السن، أبناء آباء جمهوريين، وألقي بهم إلى أذرع عائلات ورعة مخلصّة للصليب والسيف.

من كان أولئك الأطفال؟ من هم، بعد كل هذه السنوات؟

غير معروف.

الدكتاتورية الفرانكوية اختلقت وثائق مزورة، محت آثارهم، وأملت أمر النسيان: لقد سرقت الأطفال وسرقت الذاكرة.

16 شباط

الخطّة «كوندور»

ماكارينا خيلمان واحدة من ضحايا «الخطّة كوندور» الكثيرين، والخطّة كوندور هي تسمية سوق الرعب المشتركة التي ربطت مفاصلها الدكتاتوريات العسكرية الأمريكية الجنوبية.

كانت أمّ ماكارينا حاملاً بها حين أرسلها العسكريون الأرجنتينيون إلى أروغواي. تولت دكتاتورية الأروغواي عملية الولادة، فقتلت الأم وأهدت الابنة حديثّة الولادة إلى أحد قادة الشرطة.

خلال طفولتها كلها كانت ماكارينا تنام معذبة بكاپوس لا تفسير له، يتكرر ليلة إثر ليلة: يطاردها رجالٌ مسلحون حتى الأسنان، فتستيقظ باكية.

الكابوس لم يعدّ بلا تفسير حين اكتشفت ماكارينا قصة حياتها الحقيقية. وعرفت عندئذ أنها كانت تحلم، في طفولتها، برعب أمها: أمها التي كانت تُشكّلها في بطنها بينما هي تهرب من المطاردة العسكرية التي أمسكت بها أخيراً وأرسلتها إلى الموت.

حفلة لم تتحقق

عمال حقول باتاغونيا الأرجنتينية أعلنوا الإضراب ضد الأجور الضئيلة جداً وأيام العمل الطويلة جداً، وتولى الجيش فرض النظام. ممارسة الإعدام رمياً بالرصاص عملٌ متعب. في ليلة هذا اليوم من عام 1922، ذهب الجنود المهقون، لكثرة من قتلوهم، إلى ماخور بويرتو سان خوليان كي يتلقوا ما يستحقونه من مكافأة. لكن النساء الخمس اللاتي يشتغلن هناك أغلقن الباب في وجوههم وطردوهم صارخات: **قتلة، قتلة، انصرفوا من هنا...** أوسبالدو بايير حفظ أسماءهن. كنّ يسمين: كونسويلو غارسيا، وأنخيليا فورتوناتو، وآماليا رودريغيث، وماريا خولياتشي، وماود فوستر. العاهرات. الشريقات.

وحيداً منه

حين علم مايكل أنجلو بموت فرانسيسكو الذي كان مساعده، وأكثر من مساعده بكثير، حطم بمطرقة تمثال الرخام الذي كان ينحته. بعد قليل من ذلك، كتب عن تلك الميتة: لقد كانت نعمة من الله، ولكنها بالنسبة إليّ كانت ضرراً جسيماً وألماً لامتناهياً. النعمة هي في أن فرانسيسكو، من كان يبقيني حياً، علمني بموته أن أموت دون حزن. ولكنني امتلكته طوال خمسة وعشرين عاماً... والآن لم يبق لي شيء.

سوى بؤس لامتناه. الجزء الأعظم مني ذهب معه.
رفات مايكل أنجلو ترقد في فلورنسا، في كنيسة سانتا كروز.
هو ورفيقه الحميم اعتادا الجلوس على أدراج تلك الكنيسة
للاستمتاع بمنافسات يخوضها في الساحة الفسيحة، بالركل وضرب
الكرات، اللاعبون في اللعبة التي صارت تسمى اليوم كرة قدم.

19 شباط

**ربما كان يمكن للكاتب هوراسيو كيروغا
أن يروي موته على هذا النحو:**

اليوم متُّ.

في العام 1937، عرفتُ أنني مصاب بسرطان عضال لا شفاء منه.

وعرفتُ أن الموت الذي يلاحقني منذ الأزل قد وجدني.

واجهتُ الموت وجهاً لوجه، وقلت له:

– لقد انتهت هذه الحرب.

وقلتُ له:

– أنت المنتصر.

وقلتُ له:

– ولكن التوقيت لي.

وقبل أن يعطيني الموت، أمتُ نفسي.

يوم العدالة الاجتماعية

في أواخر القرن التاسع عشر، كان خوان بيو أكوستا يعيش على حدود الأروغواي مع البرازيل.

وكان عمله يفرض عليه التنقل من قرية إلى قرية في تلك المناطق المقفرة. كان يسافر في عربة تجرها خيول، مع ثمانية مسافرين في الدرجة الأولى والثانية والثالثة.

خوان بيو كان يشتري على الدوام تذكرة درجة ثالثة، وهي الأرخص ثمناً.

لم يفهم قط لماذا توجد أسعار مختلفة. فالجميع يسافرون معاً، من يدفعون أكثر ومن يدفعون أقل: يسافرون محشورين بعضهم إلى جانب البعض، يبتلعون الغبار، ويهتزون مع اهتزاز العربة الدائم. لم يفهم السبب قط، إلى أن علقت العربة في أحوال يوم شتائي. عندئذ أمر الحوذي:

- ركاب الدرجة الأولى يبقون في العربة!
- ركاب الدرجة الثانية ينزلون!
- وركاب الثالثة... عليهم أن يدفعوا العربة!

العالم يتقلص

اليوم هو يوم اللغات الأم.
كل أسبوعين تموت لغة.

العالم يتضاءل عندما يفقد بشره طريقة في الكلام، مثلما يفقد نباتات وحيوانات.

في العام 1974 ماتت آنخيلا لويج، واحدة من آخر السكان الأصليين في تويرا دل فويغو، هناك في أقصى العالم؛ والأخيرة التي تتكلم لغتهم.

وحيدة كانت تغني آنخيلا، ولا لأحد تغني، بتلك اللغة التي لم يعد هناك من يتذكرها:

امضي ماشية على الأثر خطوات

أولئك الذين مضوا.

لدي ضائعة.

في أزمنة مضت، كان أبناء شعب الأونا يعبدون عدة آلهة. الإله الأعلى بينها يدعى بيماولك.
بيماولك تعني كلمة.

22 شباط

الصمت

في اسطنبول، وكانت تسمى آنذاك القسطنطينية، أنهى بابلو الصامت قصائد الحب الخمس عشرة في العام 563.

هذا الشاعر اليوناني يدين باسمه للعمل الذي كان يقوم به. فقد كان من يحافظ على الصمت في قصر الإمبراطور جوستينيان.
وفي فراشه أيضاً.

إحدى قصائده تقول :

صدرك ملتصق بصدري،
شفطاك هي شففتي،
وما سوى ذلك الصمت،
أنا أكره الفم الذي لا يُنطق أبداً.

23 شباط

كتاب الأعاجيب

في أحد هذه الأيام من عام 1455 خرج الكتاب المقدس إلى النور،
إنه أول كتاب يطبع في أوروبا بحروف طباعة متحركة.
كان الصينيون قد بدأوا بطباعة كتب قبل نحو قرنين من ذلك،
ولكن جوهانز غوتنبرغ هو من بدأ بنشر واسع النطاق للرواية الأكثر متعة
وتشويقاً في الأدب العالمي.

الروايات تروي ولكنها لا تفسر، وليس عليها أن تفسر. الكتاب
المقدس لا يخبرنا بنظام الحمية الذي اتبعه نوح كي يصل إلى زمن
الطوفان وعمره ستمئة عام، ولا المنهج الذي اتبعته زوجة أبراهام كي
تحبل وهي في التسعين، ولا يوضح إن كانت تتكلم العبرية حمارة بلعام
التي كانت تتجادل مع صاحبها.

درس في الواقعية

في العام 1815 هرب نابليون بونابرت من سجنه في جزيرة ألبا وانطلق في رحلة استرداد تاج فرنسا.

كان يمضي خطوة خطوة، يرافقه جيش آخذ بالتعاظم، بينما جريدة المونتير أونيفرسال التي كانت من قبل جريدته الرسمية، تؤكد أن الفرنسيين يتشوقون لهفة للموت دفاعاً عن الملك لويس الثامن عشر، وتُسمي نابليون مقتصب الوطن بقوة السلاح والمأجور، والأجنبي الخارج على القانون، المستغل، الطاغية، الوباء، زعيم قطاع طرق، عدو فرنسا الذي يتجرأ على تلويث الأرض التي طرد منها، وتعلن: سيكون هذا هو آخر أعماله الجنونية.

ولكن الملك هرب أخيراً، ولم يمت أحد من أجله، وجلس نابليون على العرش دون أن يطلق طلقة واحدة.

عندئذ تحولت الصحيفة نفسها إلى نشر: أحدث خبر دخول نابليون السعيد إلى العاصمة ابتهاجاً مفاجئاً وعاماً، الجميع يتبادلون العناق، وهتافات يحيا الإمبراطور تملأ الأجواء، ودموع السعادة تملأ كل العيون، الجميع يحتفلون بعودة بطل فرنسا ويتعهدون لجلالة الإمبراطور بالامتثال والخضوع الكاملين.

ليلة الكونا،

أمرت حكومة بنما، بقانون، أن تُخضع القبائل الهمجية وشبه الهمجية والتوحشة في البلاد للحياة المتحضرة.

وأعلن الناطق باسمها:

- لن يُسمح لهنديات الكونا بعد اليوم بأن يظلين أنوفهن، وإنما سيظلين خدودهن، ولن يضعن أقراطاً في أنوفهن وإنما في آذانهن. ولن يلبسن ملابس «المولا» المزركشة، وإنما ملابس متحضرة.

وصارت محظورة عليهنّ وعليهم ديانتهم وطقوسهم التي تثير غضب الرب، ونزوتهم التقليدية بأن يحكموا أنفسهم على طريقتهم وأسلوبهم. في العام 1925، في ليلة هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر ضب الإغوانا، أعملَ هنودُ الكونا السكين في جميع الشرطيين الذين يمنعونهم من أن يعيشوا حياتهم.

ومنذ ذلك الحين تُواصل نساء الكونا تعليق الأقراط في أنوفهن المطلية، ويواصلن ارتداء مطرقات المولا، هذا الفن البديع في الرسم باستخدام خيط وإبرة بدل رياش التلوين. ومازلن هنّ، وهم أيضاً، يواصلن طقوسهم واجتماعاتهم، في الألفي جزيرة حيث يدافعون، بالحسنى أو الإكراه، عن مملكتهم المشتركة.

26 شباط

أفريقياسي

في أواخر القرن التاسع عشر، اجتمعت القوى الاستعمارية الأوروبية الكبرى في برلين لتتقاسم أفريقيا.

كان الصراع طويلاً وشاقاً على الغنيمة الاستعمارية، على الأدغال، الأنهار، الجبال، الأراضي، وباطن الأراضي، إلى أن رُسمت الحدود

الجديدة، وفي هذا اليوم من عام 1885، تم التوقيع، باسم الرب كلسي القسرة، على المحضر العام.

الأسياذ الأوروبيون كانوا سليمي الذوق ولم يذكروا الذهب، والماس، والعاج، والبتروال، والمطاط، والقصدير، والكاكاو، والبن، وزيت النخيل.

أطلقوا تسمية جمعيات خيرية على الشركات التي تزود السوق العالمي بلحم بشري:

نُبِّهوا إلى أنهم يعملون تدفعهم الرغبة في مصلحة تطور التجارة والحضارة.

وحتى لا يكون هنالك أي شك، أوضحوا أنهم يعملون من أجل زيادة الرخاء الأخلاقي والمادي للشعوب المحلية.

هكذا اخترعت أوروبا خريطة أفريقيا الجديدة.

لم يكن هناك أي أفريقي، ولو على سبيل الزينة، في اجتماع القمة ذلك.

27 شباط

المصارف ليست خالدة أيضاً

كل خُصرة تفنى، هذا ما أعلنه الكتاب المقدس.

في العام 1995، سقط بنك بارينغز، أقدم بنوك إنكلترا، في هوة الإفلاس. بعد أسبوع من ذلك جرى بيعه بسعر إجمالي مقداره واحد (1) جنيه استرليني لا غير.

كان هذا المصرف هو الذراع التمويلي للإمبراطورية البريطانية.

الاستقلال والدين الخارجي ولدا معا في أمريكا اللاتينية. جميعنا

نولد مدينين. ففي اراضينا، اشترى مصرف بارينغز بلداناً، واستاجر شخصيات سامية، وموّل حروباً.
وظن أنه خالد.

28 شباط

عندما

عندما كان ينزل على السلم الحلزوني في سفينة، خطر له أنه ربما تكون حركة جزيئات البروتينات على هذا النحو الحلزوني وعلى أرضية متموجة، وتنتج عن هذه الفكرة اكتشاف علمي.

عندما اكتشف أن السيارات هي السبب في كثرة سعاله في مدينة لوس أنجلوس، اخترع السيارة الكهربائية التي كان إخفاقاً تجارياً.
عندما أصابه مرض في كليتيه، لم تحسّن الأدوية من حالته، فوصف لنفسه طعاماً صحياً وقصفاً بالفيتامين C. وهكذا شفي.

عندما انفجرت القنبلتان فوق هيروشيما وناغازاكي، دُعي لإلقاء محاضرة علمية في هوليفود، وحين اكتشف أنه لم يقل ما يريدون منه قوله تحول إلى ترؤس الحملة العالمية ضد الأسلحة الذرية.

عندما تلقى جائزة نوبل للمرة الثانية، استنكرت مجلة لايف الأمر باعتباره إهانة. وكانت الولايات المتحدة قد تركته، في مناسبتين اثنتين، دون جواز سفر، للاشتباه بأنه متعاطف مع الشيوعيين، أو لأنه قال إن الرب مجرد فكرة غير ضرورية.

كان اسمه لينوس بولينج. وكان قد ولد مع ولادة القرن.

ما لم يذهب مع الريح

من عادة هذا اليوم الظهور في التقويم، ولكنه يعود مرة كل أربع سنوات.

إنه أغرب يوم في السنة.

ولكن هذا اليوم لم يكن على أي شيء من الغرابة في هوليوود عام 1940.

ففي 29 شباط منحت هوليوود، بصورة طبيعية تامة، كل جوائزها تقريباً، ثمانية أوسكارات، لفيلم *ذهب مع الريح*، الفيلم الذي كان زفرة حنين طويلة على أزمنة العبودية الطيبة الضائعة.

وهكذا أكدت هوليوود عاداتها. فقبل خمسة وعشرين عاماً، كان أول نجاحاتها الخارقة، *ميلاد أمه*، أنشودة ثناء على الكوكلاكس كلان.

آذار / مارس

1 آذار

كان

إليسا لينش تحفر القبر بأظفارها.
الجنود المنتصرون، المذهولون، يتركونها تفعل ذلك.
ضربات أظفار المرأة تثير سحب غبار أحمر وتهز الشعر الضارب إلى
الحمرة الذي يهطل على وجهها.
سولانو لوبيث يرقدُ إلى جانبها.
وهي، المبتورة منه، لا تبكيه، لا تنظر إليه: تلقي عليه تراباً،
حفنات غير مجدية تريد دفنه في الأرض التي كانت أرضه.
هو لم يعد ما كانه، وباراغواي لم تعد ما كانته.
خمس سنوات استمرت الحرب.
وسقط، اغتيالاً، البلد الأمريكي اللاتيني الوحيد الذي رفض
الانصياع للمصرفيين والتجار.
وبينما إليسا تواصل إلقاء حفنات من التراب على الرجل الذي كان
رجلها، كانت الشمس تغيب، ومع الشمس كان يغيب هذا اليوم اللعين
من عام 1870.
ومن جبل كورا الوارف، عصفير قليلة كانت تقول له وداعاً.

مُصَفِّرًا أَقْوَل

الصفير هو اللغة في جزيرة غوميرا.

في العام 1999 قررت حكومة جزر الكناري أن تُدرّس في المدارس اللغة الخالدة التي يصفرّ بها الشعب.

في الزمن القديم، كان رعاة جزيرة غوميرا يتواصلون بالصفير، من جبال بعيدة، وبفضل الوهاد، تتضاعف الأصدا. وهكذا كانوا يبثون رسائل ويروون أحداثاً، وأخبار الزاهبين والقادمين، والأخطار، والأفراح، والأعمال والأيام.

مضت القرون، ومازال ذلك الصفير البشري — محط حسد الطيور — متمكناً بقوة مثل أصوات الرياح والبحر.

مُحَرَّرَاتُ بَرَاذِيلِيَّاتٍ

في هذا اليوم، من عام 1770، انتهى حُكْمُ تيريزا دي بينغويلا في كواريتير.

لقد كانت واحدة من قديسي تحرير الزوج الهاريين في البرازيل. وطوال عشرين عاماً، سببت تيريزا الجنون لجنود حاكم ماتو غروسو. لم يتمكنوا من القبض عليها حية.

في مخابئي الأدغال، وُجِدَتْ عِدَّةُ نساءٍ كُنَّ، فضلاً عن أنهن يطبخن وينجبين أبناء، قدرات على القتال والقيادة، مثل زاسيما غامبا في

سبيريتو سانتوس، وماريانا كريولا في ريو دي جانيرو، وزيفيرينا في باهيا، وفيليبا ماريا أرانها في توكانتينس.

وفي بارا، على ضفاف نهر ترومبيتاس، لم يكن هنالك من يجادل في أوامر ماي دومينغاس.

وفي مخبأ بالماريس الفسيح، في الأغواس، حكمت الأميرة الأفريقية أكوالتوني قرية محررة، إلى أن أحرقت على يد القوات الاستعمارية عام 1677.

ومازال هنالك المزيد، كانت تُطلق في بيرنامبوكو تسمية «منطقة امتياز الخلاصات» على التجمع السكاني الذي أسسته في العام 1802 زنجيتان هاربتان: الشقيقتان فرانسيسكا ومينديتشا فيريرا.

عندما كانت قوات النخاسة تقترب، كانت العبدات المتحررات يملأن شعورهن الأفريقية الكثيفة بالحبوب. وكما في مناطق أخرى من أمريكا، كنَّ يحولن شعورهن إلى مستودع حبوب، تحسباً لإمكانية الانطلاق هاربات بصورة مفاجئة.

4 آذار

المعجزة السعودية

في العام 1938 دوى الخبر العظيم: ستاندرد أويل كومباني اكتشفت بحراً من النفط تحت الرمال اللامتناهية في العربية السعودية. تلك البلاد، حالياً، هي مُصنَّع أشهر الإرهابيين، والأكثر خرقاً لحقوق الإنسان، ولكن القوى العظمى الغربية التي تُكثر من الحديث عن الخطر العربي بزرع الرعب أو إلقاء القنابل، تقيم أفضل العلاقات مع

تلك الملكة ذات الخمسة آلاف أمير. أياكون السبب أيضاً هو أنها من تبيع أكبر كميات بتروول ومن تشتري أكبر كميات أسلحة:

5 آذار

الطلاق كإجراء صحي

في العام 1953 قُدم في مكسيكو العرض الأول لفيلم للويس بونويل عنوانه «هو».

كان المنفي الإسباني قد حوّل إلى فيلم رواية منفية إسبانية هي مرثيدس بينتو تروي فيها عذابات الحياة الزوجية.

استمر عرض الفيلم ثلاثة أسابيع. وكان الجمهور يضحك كما لو أنه يشاهد فيلماً للكوميدي المكسيكي كانتنفلاس.

مؤلفة الرواية طُردت من إسبانيا عام 1923. فقد ارتكبت تدنيساً للمقدسات حين أَلقت محاضرة في جامعة مدريد بعنوان يجعل منها امرأة لا تطاق: **الطلاق كإجراء صحي**.

استدعاها الدكتاتور ميغيل بريمو دي ريفيرا. تكلم باسم الكنيسة الكاثوليكية، الأم المقدسة، وبكلمات قليلة قال كل شيء:

– **إما أن تصمتي أو تغادري.**

وغادرت مرثيدس بينتو.

ومنذ ذلك الحين، كانت خطواتها الإبداعية توظف الأرض التي تطؤها، خلّفت آثارها في أروغواي، وبوليفيا، والأرجنتين، وكوبا، والمكسيك...

صاحبة الأزهار

غريغوريا أوكيف عاشت وهي ترسم، طوال قرابة قرن من الزمان،
وماتت وهي ترسم.

لوحاتها رفعتْ حديقةً في عزلة الصحراء.

أزهار غريغوريا لها أشكال بظُر، وأرحام، وحلمات، وسُرر، بين
كؤوسِ قداسِ حمْدٍ لسعادة أنها ولدتْ امرأة.

الساحرات

في العام 1770، صدر قانون إنكليزي يدين النساء المخادعات.

أولئك الغادرات يغوين رعايا جلالته ويدفعنُ بهم إلى الزواج
باستخدام فنون خبيثة مثل العطور، الأصباغ، الحمامات التجميلية،
الأسنان الاصطناعية، الشعور المستعارة، حشوات الصوف،
الصدارات، الخواتم والأقراط، أحذية الكعوب العالية.

مقترفات هذا النوع من التدليس، يقول القانون، يحاسبن وفق
القوانين السارية ضد أعمال السحر، وتُعتبر زيجاتهن باطلة منحلة.

لقد حالَ التخلف التكنولوجي دون إدراج السيليكون، وشفط
الشحم، والبولتكس، وعمليات التجميل وغيرها من أعاجيب الجراحين
والكيميائيين.

تكريمات

اليوم هو عيد المرأة

على امتداد التاريخ انشغل بالمرأة عدد من المفكرين، الإنسانيين
والإلهيين، جميعهم ذكور، وكان انشغالهم لأسباب مختلفة:

* تشرحها

أرسطو: المرأة هي رجل غير مكتمل.

القديس توما الأكويني: المرأة هي خطأ من الطبيعة، تولد من
حيوان منوي في حالة سيئة.

مارتن لوتيرو: للرجال كتفان عريضان ووركين ضيقان. وهم
مزودون بالنكاه. للنساء كتفان ضيقان ووركين عريضان، كي ينجبن
أبناء ويقعن في البيت.

* طبيعتها

فرانثيسكو دي أبييدو: الدجاجات تضع بيضاً والنساء يضعن
قروناً.

القديس يوحنا الدمشقي: المرأة حمارة عنيدة.

آرثر شوبينهاور: النساء حيوان طويل الشعر وقصير الفكر.

* قدرها

قال يهوه للمرأة، كما جاء في التوراة: زوجك يسيطر عليك.

وقال محمد، مستلهماً القرآن: المرأة الصالحة هي الطبيعة.

يوم غزت المكسيك الولايات المتحدة

في فجر هذا اليوم من عام 1916، اجتاز بانتشو بيبيا الحدود وأحرق مدينة كولومبس، وقتل بعض الجنود، واستولى على بعض الخيول والذخائر، وفي اليوم التالي رجع إلى المكسيك ليروي مآثرته. هذا التوغل السريع لخيالة بانتشو بيبيا هو الغزو الوحيد الذي تعرضت له الولايات المتحدة في تاريخها.

ولكن هذه البلاد غزت بالمقابل، ومازالت تغزو العالم بأسره تقريباً. ومنذ العام 1947 تسمى وزارة حربها «وزارة الدفاع»، وميزانيتها الحربية تسمى «ميزانية الدفاع». التسمية أحجية حلها أصعب من حل أحجية الثالوث المقدس.

الشيطان عزف الكمان

في هذه الليلة من عام 1712، زار الشيطان عازف الكمان الشاب جوسيب تارتيني، وفي الحلم عزف له.

ظن جوسيب أن تلك الموسيقى لن تنتهي أبداً؛ ولكنه عندما استيقظ كانت الموسيقى قد غادرت.

وبحثاً عن تلك الموسيقى الضائعة، ألف تارتيني مئتين وتسع عشرة سوناتا، عزفها جميعها ببراعة غير مجدية على امتداد حياته. كان الجمهور يصفق لإخفاقه.

اليسار جامعة اليمين

في العام 1931 ولد، في أستراليا، طفل سُمي روبرت. خلال سنوات قليلة تحول روبرت مورдох إلى سيد ومالك وسائل الاتصال في العالم بأسره. التحليق المذهل نحو النجاح لا يمكن تفسيره فقط بمكره وبراعته في الألعاب القذرة. فقد وجد روبرت العونَ كذلك في معرفته بأسرار عمل النظام الرأسمالي. وهو ما تعلمه حين كان طالباً في العشرينيات من عمره، عندما كان يكنّ تقديراً كبيراً للينين ويقرأً ماركس.

الحلم يعرف أكثر من اليقظة

يتحول جبل فوجي، رمز اليابان، إلى اللون الأحمر. تغطي الماء سحب البلوتونيوم الحمراء، وسحب السترونيوم الصفراء، سحب السيسيوم الأرجوانية، جميعها عناصر مشعة محملة بالسرطان ومموخ أخرى. ثلاث محطات نووية انفجرت. الناس اليائسون يهربون إلى لا مكان: - لقد خدعونا! لقد خدعونا!

بعضهم يلقي بنفسه إلى البحر أو إلى الفراغ، لكي يعجل المصير. أكيرا كيروساوا حلم بهذا الكابوس، وصوّره قبل عشرين عاماً من الكارثة التي تمخضت في بدايات العام 2011 عن كارثة قيامية في بلاده.

النوايا الحسنة

في هذا اليوم من عام 2007، اعترفت شركة الموز تشيكيتا براندز، وريثة اليوناييتد فروت كومباني، بأنها مؤلت خلال سبع سنوات المنظمات شبه العسكرية الكولومبية، ووافقت على دفع غرامة. الجماعات شبه العسكرية تقدم حماية ضد الإضرابات وعادات أخرى ذميمة تقوم بها النقابات العمالية. مئة وثلاثة وستون نقابياً جرى اغتيالهم في منطقة الموز خلال تلك السنوات. الغرامة كانت خمسة وعشرين مليون دولار. لم يصل سنت واحد منها إلى أسر الضحايا.

رأس المال

في العام 1883 انضم حشد إلى جنازة كارل ماركس، في مقبرة لندن: حشد مؤلف من أحد عشر شخصاً، بمن فيهم موظف الدفن. أشهر عباراته نُقشت على لوحة القبر:
الفلاسفة فسروا العالم بطرق مختلفة، ولكن المسألة هي في تغييره.

نبي تغيير العالم هذا أمضى حياته هارباً من الشرطة ومن الدائنين. وحول عمله الأهم علق يقول:

- لم يكتب أحد هذا الكم من الكتابة عن المال وهو لا يملك إلا

قليلاً جداً من المال. رأس المال لن يكفي لتسديد ثمن التبغ الذي
بختته وأنا أكتبه.

15 آذار

أصوات الليل

في هذه الليلة من عام 44 قبل المسيح، استيقظت كليوباترا باكية.
لقد حلمت بأن زوجها، مطعوناً بخنجر، يحتضر بين ذراعيها.
روت له كليوباترا الحلم، وتوسلت إليه باكية أن يظل في البيت،
لأن المقبرة تنتظره في الخارج.
لكن المتغطرس الأعلى، الدكتاتور مدى الحياة، المحارب الإلهي،
الإله الذي لا يُقهر، لا يمكن له الاهتمام بحلم امرأة.
أزاحها يوليوس قيصر بيده جانبا، وسار باتجاه مجلس شيوخ روما
إلى موته.

16 آذار

حكاية الحكايات

في هذه الأيام، وفي أيام أخرى أيضاً، يحتفلُ بأعيادهم الرواة الذين
يحكون الحكايات بأصواتهم، ويكتبونها في الهواء.
رواة الحكايات لهم ألوهيات متعددة تُلهمهم وتحميهم.
أحدهم، رافويما، الجد الذي روى قصة أصل شعب أويتوتو في

منطقة آراراكوارا الكولومبية.

لقد روى رافويما أن الأويتوتو ولدوا من الكلمات التي تروي ولادتهم.
وفي كل مرة يروون حكايتهم يعود الأويتوتو إلى الولادة من جديد.

17 آذار

هما عرفا الإصغاء

كارلوس وغُدروم لينكيرسدورف ولد وعاش في ألمانيا.
في العام 1973، وصل هذان الأستاذان اللامعان إلى المكسيك.
ودخلا عالم المايا، دخلا إلى قرية للقبيلة توخولابال، وقدا نفسيهما
بالقول:

– جئنا لتعلم.

السكان الأصليون صمتوا.

بعد قليل، شرح أحدهم الصمت:

– هذه أول مرة يقول لنا أحدُ هذا القول.

وتعلما، وظلا هناك، غُدروم وكارلوس، طوال سنوات وسنوات.

تعلما من لغة المايا أنه لا وجود لتراتبية تفصل الشخص عن الموضوع،

لأنني أنا أشرب الماء الذي يشربني وأنظر إلى كل ما ينظر إليّ، وتعلما أن

يحييا هكذا:

– أنا أنت آخر.

– وأنت أنا آخر.

مع الآلهة بداخلهم

في سلسلة جبال الأنديز، طرد الغزاة الإسبان الآلهة المحليين.
جرى انتزاع أحشاء عبادة الأوثان.

ولكن في حوالي العام 1560، رجع الآلهة. ارتحلوا بأجنحتهم الكبيرة آتين لا أحد يعرف من أين، واندسوا في أجساد ابنائهم، بدءاً بأياكوتشو حتى أرورو، وفي تلك الأجساد رقصوا. الرقصات التي ترقص التمرد عوقبت بالسوط أو المشنقة، ولكن لم تكن ثمة طريقة لوقفها. وواصلت الإعلان عن نهاية الإذلال.

كلمة «ناوبا» بلغة الكيتشوا تعني كان، ولكنها تعني أيضاً: سيكون.

ولادة السينما

في العام 1895، صور الأخوان لوميير - لويس وأغوست - فيلماً قصيراً مقتضباً يُظهر خروج العمال من مصنع في ليون.
هذا الفيلم، الأول في تاريخ السينما، لم يره إلا قلة من الأصدقاء، ولا أحد سواهم.

أخيراً، في 28 كانون الأول، قدمه الأخوان لوميير إلى الجمهور، مع تسعة أفلام قصيرة أخرى من صنعهم، تسجل أيضاً لحظات سريعة من الواقع.

في قبو مقهى باريس، تم الافتتاح العالمي للعرض العجيب ابن العدسة السحرية وعجلة الحياة وفنون أوهام أخرى.

إشغال تام للكراسي. خمسة وثلاثون شخصاً، وفرنك واحد لكل كرسي.

جورج ميليس كان واحداً من المشاهدين. أراد شراء الكاميرا الفيلمية. ولأنهما لم يبيعاها، لم يجد مفرأ من اختراع واحدة.

20 آذار

العالم مقلوباً

في 20 آذار من العام 2003، قصفت طائرات العراق الولايات المتحدة.

بعد القصف، غزت القوات العراقية الأراضي الأمريكية. وقعت عدة أضرار جانبية. الكثير من المدنيين الأمريكيين، معظمهم من النساء والأطفال، فقدوا حياتهم أو بُترت أطرافهم. لم يُعرف العدد الدقيق، لأن التقاليد تقضي بإحصاء ضحايا القوات الغازية وتحظر إحصاء ضحايا الأهالي المحتلين.

كانت الحرب أمراً لا سبيل إلى تجنبه. فأمّن العراق، والإنسانية بأسرها، كان مهدداً بأسلحة الدمار الشامل المتراكمة في ترسانات الولايات المتحدة.

ولا وجود لأي أساس بالمقابل للإشاعات الخادعة التي تنسب إلى العراق النية في الاستيلاء على بترول أسكا.

العالم كما هو

الحرب العالمية الثانية هي من قتلت أكبر عدد من الناس في تاريخ المجازر البشرية، ولكن إحصاء الضحايا ظل قاصراً. الكثير من جنود المستعمرات لا يرد ذكرهم في قوائم الموتى. إنهم السكان الأصليون الأستراليون، والهنود، والبورميون والفيليبينيون والجزائريون والسنغاليون والفيتناميون وكثيرون آخرون من الزوج والسر والصفراً أُجبروا على الموت في سبيل راية أسيادهم. التسعيرات: يوجد أحياناً من الدرجة الأولى والثانية والثالثة والرابعة. والموتى يحدث لهم الشيء نفسه.

يوم الماء

من ماء نحن.

من ماء انبثقت الحياة. الأنهار هي الدم الذي يغذي الأرض، ومن ماء تشكّلت خلايا التفكير فينا، والدموع التي تبكيها والذاكرة التي نذكرنا. والذاكرة تروي لنا أن صحارى اليوم كانت غابات الأمس، وأن العالم الجاف عرف كيف يكون عالماً مبللاً، في تلك الأزمنة النائية حين لم يكن الماء والأرض ملكاً لأحد وكانا للجميع. من الذي استولى على الماء؟ القرود الذي كان يملك الهراوة. فالقرود الأعزل مات بضربة هراوة. وإذا لم تخني الذاكرة، هكذا يبدأ فيلم 2001، أوبيسة الفضاء.

بعد زمن من ذلك، في العام 2009، اكتشفت سفينة فضائية أن هنالك ماءً في القمر. الخبر سرّع من خطط الغزو. يا للقمر المسكين.

23 آذار

لماذا فذبح الهنود

في العام 1982 أطاح الجنرال إيفرين ريوس مونت بجنرال آخر بمكيدة متقنة، ونصّب نفسه رئيساً لغواتيمالا.

بعد عام ونصف من ذلك، نسب الرئيس، وهو راعي كنيسة «الكلمة»، مقرها كاليفورنيا، إلى نفسه الانتصار في الحرب المقدسة التي دمرت أربعمئة وأربعين قرية للسكان الأصليين.

تلك المأثرة، حسب رأيه، ما كانت ممكنة التحقيق لولا الروح القدس الذي يوجه خطى أجهزة مخابراته، ومشارك مهم آخر هو مرشده الروحي فرانسيسكو بيانتشي، وأضاف موضحاً لمراسل النيويورك تايمز:

- مقاتلو حرب العصابات لديهم متعاونون كثيرون بين الهنود. أولئك الهنود متمربون، صحيح؟ وكيف نقضي على القمريين؟ من الجلي أنه لا بد من قتل أولئك الهنود. ثم يقال بعد ذلك: «إنهم يقتربون المذابح ضد أبرياء». ولكنهم ليسوا أبرياء.

لماذا نغيّب المغيبين

في هذا اليوم من العام 1976 ولدت الدكتاتورية العسكرية التي غيبت آلاف الأرجنتينيين.

بعد عشرين عاماً من ذلك، شرح الجنرال خورخي رافائيل بيديلا للصحفي جيدو براسلافسكي:

- لا، لم يكن الإعدام رمياً بالرصاص ممكناً. فلنفترض رقماً، فلنفترض خمسة آلاف. ما كان يمكن للمجتمع الأرجنتيني أن يتقبل الإعدامات: أمس اثنان في بوينس آيرس، اليوم ستة في كورنوبا، غدا أربعة في روساريو، وهكذا حتى خمسة آلاف... لا، غير ممكن. والإخبار أين هي الرفات؟ ولكن، ما الذي يمكننا الإشارة إليه؟ أفي البحر، في نهر لابلاتا، في نهر رياتشويلو؟ لقد جرى التفكير في ذلك الحين بإعلان قوائم. ولكن طرح بعد ذلك: إذا ما اعتُبروا ميّتين، ستأتي على الفور الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عليها: من قتل، متى، أين، كيف...

البشارة

في ذات يوم مثل هذا، بزيادة يوم أو نقصان يوم، نزل ملاك الرب جبرائيل من السماء وعلمت مريم العذراء أن ابن الرب يسكن أحشاءها.

آثار من العذراء تُقدّسُ الآن في كنائس عديدة في العالم:

أحذية وأخفاف استخدمتها؛

قمصان وأثواب كانت لها؛

كوفيات، أكاليل، أمشاط؛
خِمارات وخصل شعر؛
آثار حليب مما أرضعته ليسوع
وخواتم خطوبتها الأربعة، على الرغم من أنها تزوجت مرة واحدة.

26 آذار

مُحَرَّرَات مِنَ الْمَايَا

في هذه الليلة من العام 1936، قُتلت رجماً بالحجارة فيليبيا بوت، وهي هندية من شعب المايا، في قرية كينتشييل.
وفي عملية الرجم سقطت ثلاث رفيفات لها، من المايا أيضاً، كنَّ يكافحن إلى جانبها ضد الحزن والخوف.
قتلتهن *السلالة الإلهية*، مثلما يطلق على أنفسهم مالكو الأراضي والبشر في يوكاتان.

27 آذار

يَوْمُ الْمَسْرَحِ

في العام 2010، طالبت شركة موري هيل إنكربوريشن أن يتوقف، عن التمثيل المسرحي، السياسيون الذين يتظاهرون بأنهم يحكمون.
قبل قليل من ذلك كانت محكمة العدل العليا في الولايات المتحدة قد صرحت بأنه لا خرق للقانون في تمويل الشركات لحملة السياسيين الانتخابية؛ ومنذ زمن طويل سابق، كانت شرعية الرشى التي يتلقاها المرشحون من اللوبيات.

وبتطبيق الحس السليم، أعلنت شركة موري هيل إنكروبريشن أنها ستقدم مرشحها لكونغرس الولايات المتحدة، عن ولاية ميرلاند. فقد حان الوقت للتخلص من الوسطاء.

– إنها ديمقراطيتنا. نحن نشتريناها. ونحن ندفع ثمنها. فلماذا لا نقود الدفة؟ صوتوا لنا كي تحصلوا على أفضل ديمقراطية يمكن للمال أن يشتريها.

أناس كثيرون ظنوا أنها مزحة. أكانت مزحة؟

28 آذار

صنع أفريقيًا

في العام 1932، بعد قليل من عرض الافتتاح، صار طرزان، الرجل القرد يجتذب حشوداً تشكل أرتالاً طويلة أمام دور السينما.

منذ ذلك الحين كان طرزان هو جوني ويسمولر، المولود في رومانيا، وكانت صرخته التي انتشرت من هوليوود هي اللغة الأفريقية العالمية، بالرغم من أنه لم يذهب إلى أفريقيا قط.

لم تكن لغة طرزان غنية المفردات، فهو لا يعرف أن يقول سوى *Me Tarzan, you Jane*، ولكنه يَسْبِحُ كما لا يسبح أحد، وقد كسب خمس ميداليات ذهبية في الأولمبياد، ويصرخ مثلما لم يصرخ أحد قط. صرخة ملك الأدغال تلك هي من عمل دوغلاس شيرير، وهذا خبير صوت استطاع أن يخلط أصوات غوريلات، وضباع، وجمال، وكمانات، وأصوات سويرانو وتينور.

حتى اليوم الأخير من حياته، كان على جوني ويسمولر أن يتحمل حصار المعجبين الذين يرجونه أن يصرخ لهم صرخته.

هنا كانت توجد أدغال

معجزة في الأدغال الأمازونية: في العام 1967 انبثقت دفقةً بترول كبيرة من بحيرة لاغو أغريو.

منذ ذلك الحين، جلست شركة تكساكو إلى المائدة، بفقطة على صدرها وشوكة في يدها، وأتخمت وهي تبتلع بترولاً وغازاً طوال ربع قرن، وتبرزت على غابات الإكوادور سبعةً وثلاثين ألف مليون لتر من السموم.

السكان الأصليون ما كانوا يعرفون كلمة تلوث. وقد تعلموها عندما صارت الأسماك تموت وبطونها إلى أعلى في الأنهار، وتحول ماء البحيرات مالحاً، وراحت الأشجار تيبس على الضفاف، وهربت الحيوانات، ولم تعد الأرض تعطي ثماراً وصار الناس يولدون مرضى.

عدة رؤساء إكوادوريين، جميعهم فوق الشبهات، ساهموا في المهمة التي كانت نزيهة وصفق لها مروجو الدعاية الاستخراجية، والصحفيون الذين زينوها، والخبراء الذين برروها، والعلماء الذين برؤوها.

يوم الخدم المنزليين

كانت ماروخا بلا عُمر.

عن سنواتها الماضية، ليس لديها ما ترويه. ومن سنواتها الآتية لا تنتظر شيئاً.

لم تكن جميلة ولا قبيحة، لم تكن أقل ولا أكثر. تمشي مجرجرة قدميها، ممسكة بمنفضة الريش، أو المكنسة، أو المغرفة.

في يقظتها، تُغطس رأسها بين كتفيها.

وفي نومها، تُغَطِّسُ رأسها بين ركبتيها.
 حين يكلمونها، تنظر إلى الأرض، كمن يعدُّ نملًا.
 لقد عملتُ في بيوت الآخرين منذ وعت على الدنيا.
 لم تخرج قط من مدينة ليما.
 سمعتُ وعملتُ كثيرًا، متنقلة من بيت إلى بيت، ولم تجد نفسها في
 أي بيت منها. وأخيرًا، وجدت مكانًا عُوِّمِلت فيه كما لو أنها شخص.
 بعد أيام قليلة، غادرتُ.
 فقد بدأتُ تشعر بالمحبة.

31 آذار

هذا البرغوث

في العام 1631 مات جون دُون في لندن.
 معاصرُ شكسبير هذا لم ينشر شيئًا، أو لا شيء تقريبًا.
 بعد قرون، حالفنا الحظ بمعرفة بعض الأشعار التي خلفها.
 مثل هذه:

مررتك أحببتك، أو ثلاث مرات،
 حين لم أكن أعرف وجهك أو اسمك.

أو هذه:

لسعني أنا، والآن أنت،
 وفي هذا البرغوث امتزجت دماؤنا.
 هذا البرغوث هو أنا، وهو أنت
 وهو فراش زفافنا،
 ومعبدنا.

فیسان / ابریل

1 نيسان

المطران الأول

في العام 1553، نزل إلى اليابسة بيدرو سارينا، أول مطران للبرازيل. بعد ثلاث سنوات من ذلك، إلى الجنوب من ألاغوسا، أكله هنود الكايتي.

بعض البرازيليين يرون أن قصة وجبة الغداء تلك مختلفة، وأنها كانت ذريعة من السلطة الاستعمارية للاستيلاء على أراضي هنود الكايتي وإبادتهم على امتداد حرب مقدسة طويلة. برازيليون آخرون يعتقدون بالمقابل أن هذه القصة قد حدثت مثلما تُروى. فالطران الذي يحمل قدره في اسمه، كان مؤسساً لإرادياً للمطبخ الوطني.

2 نيسان

صناعة الرأي العام

في العام 1917 أعلن الرئيس وودرو ويلسون أن الولايات المتحدة ستدخل الحرب العالمية الأولى. قبل أربعة شهور ونصف الشهر من ذلك، كانت قد جرت إعادة انتخاب ويلسون باعتباره مرشح السلام.

تلقي الرأي العام خطاباته السلمية ثم إعلانه الحرب بالحماسة نفسها.

3 نيسان

فتيان طيبون

في العام 1882، دخلت رصاصةً في رقبة جيسي جيمس. أطلقها صديقه الأفضل كي يقبض المكافأة.

قبل أن يتحول إلى أشهر قاطع طريق، كان جيسي قد قاتل ضد الرئيس لينكولن، في صفوف جيش مؤيدي العبودية في الجنوب. وعندما خسر فريقه الحرب، لم يجد بداً من تغيير العمل. وهكذا ولدت عصابة جيسي جيمس.

العصابة التي كانت تستخدم أقنعة الكوكلاكس كلان، بدأت نشاطاتها بالسطو على قطار لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، وبعد تجريد جميع المسافرين معاً يحملونه، انهمك في سلب البنوك وعربات البريد.

تروي الأسطورة أن جيسي كان شيئاً أشبه بروبين هود في الغرب الأمريكي المتوحش، يسرق من الأغنياء ليساعد الفقراء، ولكن أحداً لم يعرف قط فقيراً تلقى نقوداً منه.

وبالمقابل، من المثبت أنه ساعد هوليوود كثيراً. فصناعة السينما تدين له بأربعين فيلماً، جميعها تقريباً من الأفلام التي حققت نجاحاً، حيث كان أشهر نجومها، ابتداءً من تيرون باوير حتى براد بيت، يشهرون مسدسه الذي يتصاعد منه الدخان.

4 نيسان

الشبح

في العام 1846 ولد إيسيدور دوكاس. كانت أزمته حرب في مونتيفيديو، وجرى تعميده تحت قصف المدافع.

فور تمكنه من الرحيل سافر إلى باريس. وتحول هناك إلى الكونت لوتيريمونت، وأسهمت كوابيسه في تأسيس السوربالية. لقد جاء إلى الدنيا في زيارة وحسب: خلال حياته القصيرة أشعل اللغة، وفي كلماتها احترق، وتحول إلى دخان.

5 نيسان

يوم النور

حدث ذلك في أفريقيا، في إيفي، وهي مدينة مقدسة في مملكة اليوروبا، ربما في يوم مثل هذا اليوم، أو من يدري متى. عجز مسن جداً، ومريض جداً، جمع أبناءه الثلاثة، وقال لهم: - أشياءي العزيزة ستكون لمن يستطيع أن يملأ هذه الحجرة بالكامل.

وانتظر في الخارج، جالساً، بينما الليل يخيم. أحد الأبناء أحضر كل ما استطاع جمعه من القش، ولكن لم يمتلئ سوى نصف الحجرة. الثاني جاء بكل ما استطاع جمعه من الرمل، لكن نصف الحجرة ظل فارغاً.

الابن الثالث أشعل شمعة.
فامتلات الحجرة.

6 نيسان

اجتياز الليل

في بعض القرى المنسية في جبال غواتيمالا، تبدعُ أيادٍ مجهولة
الدمى نازعة الأحزان.

هذه الدمى الصغيرة علاج مقدس ضد أشكال القلق: تنزعُ قلقَ
القلقين وتنقذهم من وباء الأرق.

الدمى نازعة الأحزان لا تقول شيئاً. إنها تعالج بالاستماع. تقبع
تحت الوسادة، تسمع الأحزان، والآلام، والشكوك، والديون، وكافة
العذابات التي تحاصر النوم البشري، وتحملها بطريقة سحرية بعيداً،
بعيداً جداً، إلى المكان السري حيث لا يعود الليل في أية ليلة معادياً.

7 نيسان

حساب الطبيب

منذ ثلاثة آلاف عام، أقر حمورابي، ملك بابل، تعرفه الطبابة
بالقانون، مثلما أملتها الآلهة:

إنما عالج الطبيب بمشرطه البرونزي جرحاً خطيراً أو دُملاً في
عين رجل حر، يقلقى عشرة شواقل فضة.

إذا كان المريض من أسرة فقيرة، يتلقى الطبيب خمسة شواقل
فضة.

إذا كان المريض عبداً لرجل حر، يدفع سيده للطبيب شاقليّ فضة.
تُقطع يدا الطبيب إذا تسبب علاجه بموت رجل حر، أو تسبب
بفقدانه عيناً.

إذا تسبب العلاج بموت عبدٍ رجل فقير، يعطيه الطبيب عبداً من
عبيده. وإذا أدى العلاج إلى فقدان عين العبد، يدفع الطبيب نصف
ثمن العبد.

8 نيسان

الرجل الذي ولد مرات عديدة

في هذا اليوم من عام 1973 مات بابلو ديبغو خوسيه فرانثيسكو دي
باولا خوان نيوموثيو ماريا دي لوس ريميديوس سيبريانو دي سانتيسما
ترينداد رويث آي بيكاسو، الشهير ببابلو بيكاسو.
وكان قد ولد عام 1881. ويبدو أن الولادة قد أعجبت، لأنه واصل
ولاداته.

9 نيسان

الصحة الجيدة

في العام 2011، قال أهالي أيسلندا، للمرة الثانية، لا لأوامر
صندوق النقد الدولي.

كان الصندوق والاتحاد الأوروبي قد قررا أنه على سكان أيسلندا
الثلاثمئة وعشرين ألفاً أن يتحملوا مسؤولية إفلاس المصارف وأن يدفعوا
ديوناً دولية بمعدل اثني عشر ألف يورو للرأس الواحد.
هذه الاشتراكية المعكوسة رُفِضت في استفتاءين:
- هذا الدين ليس بديننا. فلماذا ندفعه نحن؟

في عالم مجنون بالأزمة المالية، قدمت لنا الجزيرة الصغيرة المنسية
في مياه الشمال، لنا جميعاً، درساً صحياً في الحس السليم.

10 نيسان

تصنيع الأمراض

صحة جيدة؟ صحة سيئة؟ كل شيء يعتمد على وجهة النظر. من
وجهة نظر الصناعات الصيدلانية الكبرى، سوء الصحي صحي جداً.
فالخجل، على سبيل المثال، كان يمكن له أن يكون لطيفاً، وربما
جذاباً، إلى أن تحول إلى مرض. ففي العام 1980، قررت جمعية
التحليل النفسي الأمريكية أن الخجل مرض نفسي، وضفته إلى مؤلفها
المرجع في الاضطرابات الذهنية الذي يضعه بصورة دورية أساقفة العلم.
ومثل أي مرض، يحتاج الخجل إلى أدوية. منذ أن عُرف الخجل،
كسبت مختبرات الأدوية الكبرى ثروات طائلة من بيع آمال بالشفاء
للمرضى المصابين بهذا الرهاب الاجتماعي، هذه الحساسية تجاه الناس،
هذا المرض الطبي الصارم...

11 نيسان

مخاوف الاتصال

في هذا اليوم من عام 2002، حوّلت حركة انقلابية رئيس رجال الأعمال إلى رئيس لفرنزويلا.
لم يستمر المجد إلا قليلاً. فبعد يومين من ذلك، اندفع الفرنزويليون إلى الشوارع، وأعادوا الرئيس الذي انتخبوه بأصواتهم.
قنوات التلفزيون الكبرى وأوسع محطات الإذاعة انتشاراً في فنزويلا احتفلت بالانقلاب، ولكنها لم تعلم بخبر أن الأهالي قد أعادوا هوغو تشافيث إلى مكانه الشرعي.
ولأن الخبر مزعج، عمدت وسائل الاتصال إلى عدم إيصاله.

12 نيسان

صناعة الذنب

في مثل هذا اليوم من العام 33، بزيادة يوم أو نقصان يوم، مات يسوع الناصري على الصليب.
قضاته حكموا عليه بتهمة الحثّ على عبادة الأوثان والتجديف والشعوذة البغيضة.
بعد قرون من ذلك حُكم على هنود أمريكا وهراطقة أوروبا بهذه الجرائم نفسها، نفسها بالضبط، وباسم يسوع الناصري نُفذت عقوبات الجلد والشنق والحرق.

13 نيسان

لم نعرف أن نراك

في العام 2009، في فناء دير ماني في يوكاتان، أقام اثنان وأربعون راهباً فرنسيسكانياً طقوس اعتذار من ثقافة السكان الأصليين:

– نطلب العذرة من شعب المايا، لأننا أنكرنا آلهته؛ ولأننا لم نحترم ثقافته، ولأننا فرضنا عليه لقرون طويلة ديانة لا يفهمها، ولأننا شيطناً ممارساته الدينية ولأننا قلنا وكتبنا أنها من عمل الشيطان وأن آلهتهم هي الشيطان مجسداً.

قبل أربعة قرون ونصف القرن، في ذلك المكان نفسه، قام راهب فرنسيسكاني آخر، يدعى ديبغو دي لاند، بإحراق كتب المايا التي كانت تحفظ ثمانية قرون من الذاكرة الجماعية.

14 نيسان

الأعظم أم الأكبر؟

في العام 1588، وخلال ساعات قليلة، هُزمت الأرمادا التي لا تقهر، الأسطول الإسباني الذي كان الأعظم في العالم.

في العام 1628، السفينة السويدية الحربية الأقوى، فاسا، والتي وصفت أيضاً بأنها لا تقهر، غرقت في رحلة تدشينها. حتى قبل أن تتوصل إلى الخروج من مرفأ ستوكهولم.

وفي ليلة هذا اليوم من عام 1912، اصطدمت بجبل جليدي أفخم سفن العالم وأكثرها أمناً، والمدعوة بمهانة تيتانك. هذا القصر العائم لم

يكن فيه ما يكفي من زوارق النجاة، وكانت دفته صغيرة إلى حدّ تبين أنها غير مجدّية، ولم يسمع أحد فيها صفير أجهزة الإنذار بالخطر.

15 نيسان

الرسوم السوداء

في العام 1828، مات فرانتيسكو غويا في المنفى..

لاحقته محاكم التفتيش، فرحلَ إلى فرنسا.

خلال احتضاره، ذكر غويا، بين بعض الكلمات غير المفهومة،

بيته المحبب خارج مدريد، على ضفاف نهر مانتاتاريس. هناك بقي

أفضل ما قدمه، أكثر ما يعبرُ عنه، مرسوماً على الجدران.

بعد موته، بيع ذلك البيت وأعيد بيعه، مع الرسوم وكل شيء، إلى

أن جرى أخيراً نزع تلك الأعمال عن الجدران، ونقلها على القماش.

قُدّمت دون طائل في معرض باريس الدولي. لم يهتم أحد برؤيتها، وأقل

من ذلك بشراء تلك النبوءات الشرسة للقرن التالي، حيث الألم يقتل

اللون ويتبدى الرعب دون حياء بوجهه الحي. متحف البرادو رفض

شراءها أيضاً، إلى أن دخلت إليه في العام 1882 كهبة.

اللوحات المسماة رسوم سولاء تشغل اليوم إحدى أكثر قاعات المتحف

ارتياًداً.

- إنفي أرسمها لنفسى - هذا ما قاله.

لم يكن يعلم أنه يرسمها لنا.

16 نيسان

الغناء العميق

في العام 1881، وضع أنطونيو ماتشادو آي الباريث نقطة النهاية لمختاراته من أغاني فلانكو القرن التاسع عشر، مقاطع من الغناء العجري الأندلسي.

مالحة كلت في القديم

أمواج البحر كلما

لكن حبيبتي بصفت

فاستحال الموج عنياً

للسمراوات

نظرة غريبة،

تقتل في ساعة

أكثر مما يقتل الموت في سنة.

يوم ولدت أنت

سقطت قطعة من السماء.

وما نمت لم صوتي

لن يُخلق ثقب السماء.

الكتاب نُشر، وقُوبل بازدراء. الغناء العميق كان جديراً بالازدراء، لأنه عجري. ولكن المقطعات، لأنها عجيبة، تحمل الموسيقى في داخلها، في راحتين والقدمين.

17 نيسان

كاروسو غنى وركض

في هذه الليلة من عام 1906، غنى مغني التينور إنريكو كاروسو أوبرا كارمن في صالة تيفولي، بمدينة سان فرانسيسكو. رافقه التصفيق حتى باب فندق بالاس. ما نامه معلم الغناء الجميل كان قليلاً. فعند حدّ الفجر، قلبته هزة عنيفة عن السرير. الزلزال، أسوأ زلزال في تاريخ كاليفورنيا كله، قتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص ودمر نصف بيوت المدينة. انطلق كاروسو راكضاً ولم يتوقف إلا عند وصوله إلى روما.

18 نيسان

حذار منه

في هذا اليوم، من عام 1955 مات ألبرت أينشتاين. حتى اليوم، وطوال اثنين وعشرين عاماً، ظل مكتب التحقيقات الفيدرالي، يراقب هاتفه، ويقرأ رسائله ويفحص دلو قمامته. كانوا يتجسسون على أينشتاين لأنه جاسوس. جاسوس لموسكو: هذا ما يقوله ملفه الشرطي كثير الأوراق. ويقول أيضاً إنه اخترع شعاعاً مهلكاً وروبوتاً قادراً على قراءة الذهن البشري. ويقول إن إنشتاين كان عضواً ومشاركاً ومنضوياً إلى أربع وثلاثين جبهة شيوعية ما بين العامين 1937 و1954، وقاد كرئيس شرف أربع منظمات شيوعية، ولا يبدو أنه يمكن لرجل بهذه السوابق أن يتحوّل إلى مواطن أمريكي مخلص.

حتى الموت لم ينقذه. فقد تواصل التجسس عليه. ولكن ليس من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالي هذه المرة، وإنما من زملائه رجال العلم الذين قطعوا دماغه إلى متين وأربعين قطعة ودرسوها بحثاً عن تفسير لعبقريته.

لم يجدوا شيئاً.

وكان إينشتاين قد نبّه:

– الشيء الوحيد غير العادي في هو فضولي.

19 نيسان

أبناء الصحاب

في العام 1987، أنهت المملكة المغربية بناء الجدار الذي يجتاز الصحراء الغربية من الشمال إلى الجنوب، في أراض لا تتبع لها. إنه أطول جدار في العالم، لا يتفوق عليه سوى سور الصين القديم. وعلى امتداده بالكامل، يمنع جنود مغاربة مرور الصحراويين إلى موطنهم المغتصب.

مرات عديدة، ودون جدوى عديدة، أكدت الأمم المتحدة على حق الشعب الصحراوي بتقرير المصير، ودعمت إجراء استفتاء: أن يقرر الأهالي الصحراويون مصيرهم.

ولكن المملكة المغربية رفضت ومازالت ترفض. هذا الرفض يعادل اعترافاً. فبرفضه الحق بالتصويت، يعترف المغرب بأنه سرق بلداً. منذ أربعين عاماً والصحراويون ينتظرون. إنهم محكومون بالغم المؤبد وبالحنين المؤبد.

إنهم يسمون *أبناء السحاب*، لأنهم منذ الأزل يلاحقون المطر. ويلاحقون أيضاً العدالة، لكنها أكثر تهرباً من ماء الصحراء.

20 نيسان

تصنيع المتبجحين

كانت أكبر حملة عسكرية في تاريخ البحر الكاريبي بأسره. وأكبر خيبة.

مالكو كوبا الذين جردوا من ملكيتهم وأبعدوا، أعلنوا من ميامي أنهم سيقاتلون ضد الثورة حتى الموت من أجل استعادة ملكيتهم.

حكومة الولايات المتحدة صدقتهم، وأثبتت أجهزة مخابراتها، مرة أخرى، أنها لا تستحق هذه التسمية.

في 20 أبريل 1961، بعد ثلاثة أيام من الإنزال في خليج الخنازير، لم يستطع الأبطال المسلحون حتى الأسنان، والمدعومون بسفن وطائرات، إلا أن يستسلموا دون قتال.

21 نيسان

الغاضب

حدث في إسبانيا، في إحدى قرى ريوخا، عند غروب هذا اليوم من عام 2011، خلال موكب ديني تمثيلي في أسبوع الفصح.

حشد مهيب وصامت يرافق خطوات يسوع المسيح والجنود الرومان الذين يقتادونه ضرباً بالسياط.

وكسر صوت الصمت.

ماركوس راباسكو المحمول على كتفي أبيه صرخ بمن كان يتلقى

ضربات السياط:

- دافع عن نفسك! دافع عن نفسك!

كان عمر ماركوس سنتين وأربعة شهور وواحدًا وعشرين يوماً.

22 نيسان

يوم الأرض

قال إينشتاين ذات يوم:

- إذا اختفى النحل من العالم، كم عاماً من الحياة يتبقى

للأرض؟ أربعة، خمسة أعوام؟ نون نحل لا وجود للتلقيح، ودون

تلقيح لا وجود للنباتات، ولا للحيوانات ولا البشر.

قال هذا في حلقة أصدقاء.

الأصدقاء ضحكوا.

هو لم يضحك.

واليوم يتبين أن هنالك نحل أقل في كل يوم.

واليوم، في يوم الأرض، يجدر بنا التنبيه إلى أن ذلك لا يحدث

بمشيئة إلهية ولا لعنة شيطانية، وإنما

بسبب اغتيال البراري البدائية وازدهار الغابات الاصطناعية؛

بسبب زراعات التصدير التي تمنع تنوع مملكة النبات؛

بسبب السموم التي تقضي على الأوبئة وتقضي في طريقها على

الحياة الطبيعية؛

- بسبب الأسمدة الكيماوية التي تُخصب الأموال وتُجذب الأرض،

وبسبب إشاعات بعض الآلات التي تفرضها الدعاية على مجتمع الاستهلاك.

23 ابريل

الشهرة مجرد زيف

اليوم، يوم الكتاب، لا مانع من تذكر أن تاريخ الأدب هو تناقض ظاهري دائم.

ما هو الحدث الأكثر شعبية في الكتاب المقدس؟ آدم وحواء يقضمان التفاحة. إنه غير موجود في الكتاب المقدس.

أفلاطون لم يكتب قط جملة الشهيرة:

الموتى وحدهم من رأوا كيف تنتهي الحرب.

دون كيخوته دي لامانتشا لم يقل قط:

إنها تنبح يا سانتشو، وهذا إشارة إلى أننا نتقدم.

لم يكتب فولتير ولم يقل أوسع عبارته شهرة:

لا أتفق معك في الرأي، ولكنني أدافع حتى الموت عن حقاك بقول رأيك.

جورج فريدريش هيغل لم يكتب قط:

النظرية رماضية، وشجرة الحياة خضراء.

شرلوك هولمز لم يقل قط:

هذا أساسي يا عزيزي واطمن.

في أي من كتبه أو بياناته، لم يكتب لينين:

الغاية تبرر الوسيلة.

برتولت بريخت ليس مؤلف قصيدته الأوسع شهرة:

في البدء اقتادوا الشيوعيين / ولكنني لم أهتم / لأنني لم أكن
شيوعياً...

خورخي لويس بورخيس لم يكن مؤلف قصيدته المنتشرة:
إذا ما استطعتُ أن أعيش حياتي من جديد / سأحاول اقتراف
مزيد من الأخطاء...

24 نيسان

خطر النشر

في العام 2004 كسرت حكومة غواتيمالا أول مرة قانون إفلات
السلطة من العقاب، واعترفت رسمياً بأن ميرنا ماك قد اغتيلت بأمر من
رئاسة البلاد.

كانت ميرنا قد اقرت بحثاً محظوراً. وعلى الرغم من التهديدات،
توغلت في الأدغال والجبال حيث يهيم على وجوههم، منفيين في وطنهم
بالذات، السكان الأصليون الناجون من المجازر العسكرية. وجمعت
أصواتهم.

في 1989، في مؤتمر علوم اجتماعية شكا انثروبولوجي من الولايات
المتحدة من ضغط الجامعات التي تُجبر أساتذتها على إنتاج متواصل.
- في هذه البلاد - قال - إذا لم تنشر فأنت ميت.

وميرنا قالت:

- في بلادي، تموت إذا نشرت.

وهي نشرت.

فقتلوا طعناً بالسكاكين.

25 نيسان

لا تنقذوني... أرجوكم

في هذا اليوم من عام 1951، جرى اختيار محمد مصدق رئيساً لوزراء إيران، بأغلبية أصوات ساحقة.

كان مصدق قد وعد بأن يعيد إلى إيران البترول الذي يُهدى إلى الإمبراطورية البريطانية، وبدأ بتنفيذ عمله.

ولكن تأميم البترول يمكن أن يؤدي إلى فوضى مناسبة للتدخل الشيوعي. عندئذ أصدر الرئيس إيزنهاور الأمر بالهجوم، وأنقذت الولايات المتحدة إيران: في 1953 وقع انقلاب عسكري أرسل مصدق إلى السجن، وأرسل إلى المقبرة كثيرين من أنصاره وسلم للشركات الأمريكية أربعين بالمئة من البترول الذي أممه مصدق.

في العام التالي، بعيداً جداً عن إيران، أصدر الرئيس إيزنهاور الأمر بهجوم آخر، وأنقذت الولايات المتحدة غواتيمالا. انقلاب عسكري أطاح بحكومة جاكوب أرينز المنتخبة ديمقراطياً، لأنها أمتت أراضي لا تزرعها اليوناييتد فروت كومباني متسببة بذلك في فوضى ملائمة للتدخل الشيوعي. ومازالت غواتيمالا تدفع ثمن ذلك الجميل.

26 نيسان

ثم يحدث هنا أي شيء

حدث في تشيرنوبل، أوكرانيا، عام 1986. كانت أخطر كارثة نووية يتعرض لها العالم بأسره حتى ذلك الحين، ولكن العصفير التي هربت والديدان التي غاصت تحت التراب هي الوحيدة التي أخبرت عن المأساة منذ اللحظة الأولى.

الحكومة السوفيتية أصدرت أمر الصمت.
بعد ربع قرن من ذلك، في فوكوشيما، انفجرت عدة مفاعلات نووية،
وصممت الحكومة اليابانية أيضاً وأنكرت الروايات الكثيرة للذعر.
لقد كان محقاً الصحفي الإنكليزي المجرب كلود كوكبورث حين
نصح:
- لا تصدق شيئاً إلى أن يجري تكمييه رسمياً.

27 نيسان

تقلبات الحياة

الحزب المحافظ الذي كان يحكم نيكاراغوا حين اعترف للنساء في
هذا اليوم من العام 1837 بحق الإجهاض إن كانت حياتهن معرضة
للخطر.

بعد مئة وسبعين عاماً من ذلك، في تلك البلاد نفسها، قام
المشروعون الذين يقولون إنهم ثوريون ساندينيون بحظر الإجهاض مهما
كانت الظروف، وهكذا حكموا على النساء الفقيرات بالسجن أو المقبرة.

28 نيسان

يوم ضمان العمل

لا وجود اليوم لما هو أقل ضماناً من العمل. ففي كل مرة يتزايد عدد
العمال الذين يستيقظون، كل صباح، متسائلين:

- كم منا هم الفائضون عن الحاجة؟ من سيشتريني؟

كثيرون يفقدون العمل وكثيرون يفقدون، وهم يعملون، حياتهم:

كل خمس عشرة ثانية يموت عامل، تفتاله تلك التي يسمونها حوادث العمل.

انعدام الضمان العام هو الموضوع المفضل للسياسيين الذين يفككون التاريخ المشترك كي يكسبوا انتخابات. خطر، خطر، يصرخون. في كل ركن يترصد لص، مغتصب، قاتل. ولكن هؤلاء السياسيون لا يشكون قط من أن العمل خطير.

وأن اجتياز الشارع خطير، لأنه في كل خمس وعشرين ثانية يموت واحد من المشاة، تفتاله تلك التي يسمونها حوادث المرور. وتناول الطعام خطر، لأن من هو بمنجى من الجوع يمكن له أن يموت مسمماً بالأطعمة الكيماوية.

ومن الخطر التنفس، لأن الهواء النقي في المدن هو، مثله مثل الصمت، مادة ترف.

وخطر أيضاً هي الولادة، لأنه في كل ثلاث ثوانٍ يموت طفل لم يتوصل إلى العيش حتى بلوغ الخامسة من العمر.

29 نيمان

هي لا تنسى

من يعرف ويتعرف على دروب الأدغال الأفريقية؟
من يعرف تجنب اقتراب خطر صيادي العاج والضواري الأخرى
المعادية؟

من يتعرف على آثار الأقدام الخاصة والغريبة؟
من يحفظ ذاكرة جمعهم وجميعهم؟

من يُصدر تلك الإشارات التي لا يمكن للبشر سماعها أو فك رموزها؟

تلك الإشارات إلى الإنذار أو العون أو التهديد أو التحية التي تصل إلى أبعد من عشرين كيلومتراً؟
إنها هي، الفيلة الكبرى. الأكبر سنّاً، الأكثر معرفة. من تمشي على رأس القطيع.

30 نيسان

جولات الذاكرة

مساء هذا اليوم من عام 1977، اجتمعت أول مرة أربع عشرة أمماً لأبناء متييين.

ومنذ ذلك الحين يجئن معاً، ومعاً يطرقن الأبواب التي لا تُفتح.

– جميعنا لجميعنا – كن يقلن.

وكن يقلن أيضاً:

– جميعهم أبناؤنا.

آلاف وآلاف الأبناء ممن ابتلعتهم الدكتاتورية العسكرية الأرجنتينية وأكثر من خمسمئة طفل جرى توزيعهم كغنيمة حرب.

أيار / مايو

1 ايار

يوم العمال

تقنية الطيران المتبادل: طائر البط الأول الذي يرتفع محلقاً يفتح المجال للثاني، ويشق هذا بدوره الطريق للثالث، ونشاط الثالث يحث الرابع، فيساعد الخامس، واندفاع الخامس يدفع السادس الذي يوفر ربح الطيران للسابع...

حين يتعب طائر البط الذي يشكل رأس المقدمة يتراجع إلى نهاية السرب تاركاً مكانه لآخر يصعد إلى رأس تلك الزاوية التي لها شكل V والتي ترسمها طيور البط في الفضاء. جميعها تمضي متبادلة الأمكنة، إلى الخلف وإلى الأمام؛ وليس بينها من يعتقد أنه فرخ بط خارق لأنه في المقدمة، أو فرخ بط أدنى لأنه يمضي في المؤخرة.

2 ايار

العملية جرونيمو

جرونيمو قاد مقاومة هنود الأباتشي في القرن التاسع عشر. زعيم المغزوين هذا كانت له على الدوام سمعة سيئة، لأن شجاعته ومكره سببا الجنون للغزاة على امتداد سنوات طويلة. وفي القرن التالي،

كان هو أسوأ السيئين في أفلام الغرب الأمريكي.
وبإتباع هذا التقليد في الأفلام، أطلقت حكومة الولايات المتحدة
عملية جرونيمو على إعدام أسامة بين لادن، الذي اخترقه الرصاص
واختفى في هذا اليوم من العام 2011.
ولكن ما هي علاقة جرونيمو بأسامة بن لادن، الخليفة الهذيانى
المُصنَّع في مختبرات الولايات المتحدة العسكرية؟ وهل يشبه جرونيمو
ذلك الفزاعة المحترف الذي يعلن أنه سيأكل جميع الأطفال نيئين كلما
احتاج رئيس أمريكي إلى مبرر لشن حرب جديدة؟
اختيار الاسم لم يكن بريئاً: إنه يقول إن المحاربين الهنود الذين
دافعوا عن كرامتهم وعن أراضيهم ضد الغزو الأجنبي كانوا إرهابيين.

3 ايار

الصار

في أواخر العام 1979 غزت القوات السوفييتية أفغانستان.
وحسب التوضيحات الرسمية، أراد الغزو الدفاع عن الحكومة
العلمانية التي تحاول تحديث البلاد.
وقد كنت أحد أعضاء المحكمة الدولية في ستوكهولم التي اهتمت
بالموضوع في العام 1981.
لن أنسى أبداً لحظة ذروة تلك الجلسات.
كان زعيم ديني يقدم شهادته، ممثلاً للأصوليين المسلمين الذين
كانوا يُسمون آنذاك «مقاتلو الحرية»، وهم الآن إرهابيون.
ذلك الشيخ المسن صرخ بصوت مدو:

– الشيوعيون ألحقوا العار ببئاتنا! لقد علموهن القراءة
والكتابة!

4 ايار

مادامت الليلة متواصلة

في العام 1937 توفي، عن سبعة وعشرين عاماً، نويل روسا.
موسيقى ليل ريو دي جانييرو هذا الذي عرف في حياته شاطئ
البحر من خلال الصور وحسب، كتب وغنى أغنيات سامبا في بارات
المدينة التي مازالت تغنيها حتى الآن.
في أحد تلك البارات وجده صديقاً له، في العاشرة صباحاً من ليل
السهر.

كان نويل يترنم بأغنية حديثة الولادة.
وعلى المنضدة زجاجتان. إحداها زجاجة بييرة والأخرى خمر قصب
قوية.

الصديق كان يعرف أن السل الرئوي آخذ بقتله. وقد أنتبه نويل إلى
القلق في وجه صديقه، ووجد نفسه مضطراً إلى أن يقدم إليه درساً حول
الخصائص الغذائية للبييرة. فأشار إلى زجاجة البييرة قائلاً:

– هذا الشراب يغذي أكثر من طبق طعام جيد.
الصديق الذي لم يقتنع كثيراً أشار إلى زجاجة خمر القصب:
– وهذه؟

فأوضح له نويل:
– ليس لطيفاً الأكل دون جرعة شراب ترافق الطعام.

5 ايار

مغنياً العن

في العام 1932 سجل نويل روسا أغنية السامبا «من يدفع أكثر؟»
قصة موجزة لبلد أرسل إلى المزاد.
كم سيكسب المزاد
وهو برازيلي أيضاً
باع في ثلاث صفحات
البرازيل كلها

وبعد سنتين من ذلك، رسم انريكي سانتوس ديسيسبولو في أغنية
التانغو «كامبالاتشي»، زمن الطفولة في الأرجنتين:
الأمم يبدو أن لا فرق
في أن تكون سوية أو لصاً،
جمالاً، علماً، أو لاشيء،
كريمة، نصلاً.
هذا وحسب، تقدم واختر حسب...

6 ايار

رؤى

انهيار وول ستريت خلف الصحافي جوناثان تيلوف بلا عمل.
ولكن في العام 2009، بينما كان جوناثان يُفرغ مكتبه في واشنطن،
اكتشف مريم العذراء في لطفة قهوة على منضدته؛ فبدل هذا الكشف قدره.

في أوج الأزمة، عندما لم يعد هناك من يؤمن بالاقتصاديين، أو بالسياسيين أو بالصحفيين، أكثر من شخص وجد العذراء في ساندويتش جبن، في نبتة هليون أو في صورة شعاعية.

7 ايار

معكرو جو الحفلة

في العام 1954 وجه المتوردون الفيتناميون ضربة قاصمة للعسكريين الفرنسيين في حصنهم المنيع في ديان بيان فو. واضطرت فرنسا المجيدة، بعد قرن من غزوها الاستعماري، إلى الخروج هاربة من فيتنام. بعد ذلك، جاء دور الولايات المتحدة. أمر لا يُصدق: القوة العظمى الأولى في العالم وفي الفضاء الكوني كله تعرضت أيضاً لمهانة الهزيمة في ذلك البلد الصغير، سيئ التسليح، والذي يسكنه فقراء شديدو الفقر. فلاح بطيء المشي، قليل الكلام، هو من قاد هاتين المأثرتين. اسمه هوشي مينه، وكانوا يسمونه العم هو. العم هو لا يشبه إلا قليلاً زعماء ثورات أخرى. في إحدى المناسبات، رجع مناضلاً من إحدى القرى وأخبره بأنه لا توجد طريقة لتنظيم أولئك الناس. - إنهم بونيون متخلفون، يقضون النهار كله في التأمل. - ارجع وتأمل .. أمره العم هو.

8 ايار

هيطان جزيرة تسمانيا

مشهور في العالم هذا المسخ الشيطاني، مفتوح الأشداق وذو الأسنان ساحقة العظام.

ولكن شيطان تسمانيا الحقيقي لم يأت من الجحيم: الإمبراطورية البريطانية هي التي أبادت سكان تلك الجزيرة المجاورة لأستراليا، بهدف الحضارة النبيل.

الضحية الأخيرة لحرب الغزو الإنكليزي كان اسمها تروغانيني. هذه الملكة المجردة من مملكتها ماتت في هذا اليوم من عام 1876، ومعها ماتت لغة شعبها وذاكرته.

9 ايار

ولد ليجده

ولد هارولد كارتر في صباح هذا اليوم من عام 1874، وبعد نصف قرن من ذلك عرف سبب مجيئه إلى العالم.

توصل إلى هذا الكشف عندما وجد قبر توت عنخ أمون.

اكتشفه كارتر بقوة العناد المحض، بعد سنوات طويلة من البحث وهو يصارع يأس وتذمر شؤم خبراء الفرعونيات.

يوم العثور العظيم، جلس عند قدمي ذلك الفرعون ذي الحياة القصيرة العابرة، ذلك الفتى المحاط بألف أعجوبة، وأمضى ساعات وساعات بصمت.

وقد رجع إليه مرات كثيرة.

في واحدة من تلك المرات، رأى ما لم يكن قد رآه من قبل: كانت هناك بعض البذور التي سقطت على الأرض. لقد ظلت تلك البذور ثلاثة آلاف ومئتي عام تنتظر اليد التي ستزرعها.

10 ايار

ما لا يفترض

الشاعر روكي دالتون كان شاباً وجريئاً في ردّ الجواب. لم يتعلم الصمت ولا الانصياع قط، وكان يمارس توجهاً متحدياً في السخرية وفي الحب.

في ليلة هذا اليوم من عام 1975، قتله برصاصة، وهو نائم، رفاقه في حرب العصابات في السلفادور.

مجرمون: العسكريون الذين يقتلون لمعاينة الاختلاف لا يقتلون إجراماً عن العسكريين الذين يقتلون من أجل تأييد الظلم.

11 ايار

إنه كل شيء

أوجين فرانسوا فيدوك مات في باريس عام 1857. منذ أن سطا، وهو في الرابعة عشرة، على مخبز أبيه، صار أوجين لصاً، وبهلواناً، ومسايفاً، وجندياً هارباً من الخدمة، ومهرباً، ومعلم مدرسة مولعاً بالصغيرات، ومعبود المواخير، ورجل أعمال، وواشياً،

وجاسوساً، وخبير إجرام، وخبيراً بعلم القذائف، مديراً للأمن العام،
شرطة التحريات الفرنسية، ومؤسس أول وكالة للتحريين الخاصين.
عشرون مرة خاض مبارزات، وهرب من خمسة سجون متحولاً إلى
راهبة أو مشوه حرب. كان ساحراً في التنكر، مجرماً متنكراً كشرطي،
وشرطياً متنكراً كمجرم، وكان صديقاً لأعدائه وعدواً لأصدقائه.
شرلوك هولمز وتحريون مشهورون آخرون في الأدب الأوروبي يدينون
بجزء كبير من مهاراتهم لمكايد تعلمها فيدوك وهو يمارس الجريمة، ثم
طبقها بعد ذلك لمكافحة الجريمة.

12 ايار

مقاييس الزلازل الحية

في العام 2008، هز زلزال مدمر الصين.
في الصين اخترع جهاز قياس للزلازل قبل تسعة عشر قرناً، ولكن
أياً من أجهزة الزلازل لم يبنى بما هو آت.
من أنبا به هي الحيوانات. لم يولها العلماء أية أهمية. فقبل أيام
من الكارثة، أصاب الجنونُ حشوداً من الضفادع وانطلقت تعدو
متقافزة، دون وجهة محددة، وبأقصى سرعة اجتازت شوارع مياوزو
ومدن أخرى. أما في حديقة حيوان ووهان، فراحت الفيلة وحمير
الوحش تصطدم بقوة بحواجز الأقفاص، وأخذت النمر تزمجر
والطاوويس تزعق.

13 ايار

من أجل أن تغني، من أجل أن ترى

من أجل أن ترى عوالم العالم، استبدل عينيك.
من أجل أن تسمع العصفير غناك، استبدل حنجرتك.

هذا ما يقوله ، وهذا ما يعرفه الحكماء الذين ولدوا عند منابع نهر أورينوكو.

14 ايار

دَيْنُ الْآخِر

في هذا اليوم من عام 1948، ولدت دولة إسرائيل.
بعد أيام قليلة من ذلك، طُرد أكثر من ثمانمئة ألف فلسطيني،
وُدِّم أكثر من خمسمئة قرية.

هذه القرى، حيث كانت تنمو أشجار الزيتون والتين واللوز وغيرها
من الأشجار المثمرة، تقبع مدفونة تحت الطرق السريعة، والمراكز
التجارية، وحدائق الملاهي. إنها موتى بلا أسماء. فلجنة الأسماء لدى
السلطة الجديدة أعادت تعميدها الخارطة.

لم يبق إلا قليل من فلسطين. ومن أجل التهام الخريطة المتماضي
تستحضر صكوك ملكية، ممنوحة من التوراة بسخاء، وتُبرر بمعاناة
الشعب اليهودي طوال ألفي عام من الملاحقة.

ملاحقة اليهود كانت، على الدوام، عادة أوروبية، ولكن
الفلسطينيين هم من يدفعون ديون الآخرين.

15 ايار

كيبلا يكون الغد هو اسم آخر لليوم

في العام 2011، آلاف الشباب المجريين من بيوتهم ووظائفهم احتلوا ساحات وشوارع عدة مدن في إسبانيا. وانتشر السخط تبين أن العاقبة أشد نقلاً للمدوى من الأوبئة، واجتازت أصوات الساخطين الحدود المرسومة على الخرائط وهكذا دوت تلك الأصوات في العالم بأسره:

قالوا لنا: انصرفوا إلى لعنة الشارع! وها نحن فيه.

أطفئ التلفزيون وأشعل الشارع.

يسمونها أزمة، ولكنها احتيال.

لا نقص في الأموال؛ بل زيادة في اللصوص.

الأسواق تحكم. أنا لم أصوت لها.

هم يتخذون القرارات عنا، ومن دوننا.

عبد اقتصادي للإيجار.

إنني أبحث عن حقوقي. هل رآها أحد؟

إذا لم يتركونا نحلم، فلن نتركهم ينامون.

16 ايار

إلى مستشفى المجانيين

أسماك الميرو وأسماك أخرى،

الدلافين،

البجع وطيور الفلامنكو والقطرس،

البينغوينات ،
النعام ،
دببة الكوالا ،
الأورانغتان وقرود أخرى ،
الفراشات وحشرات أخرى ،
وأقارب كثيرون لنا من مملكة الحيوان تقيم علاقات شذوذ جنسي ،
إناث مع إناث ، وذكور مع ذكور ، لبعض الوقت أو بصورة دائمة .
لحسن الحظ أنهم ليسوا بشراً : لقد نجوا من مستشفى المجانين .
فحتى هذا اليوم من العام 1990 ، كان الشذوذ الجنسي ضمن قائمة
الأمراض العقلية لمنظمة الصحة العالمية .

17 ايار

المنزل البشري

ها قد مضت على القرن الحادي والعشرين عدة سنوات وهو يتقدم
في الزمن ، ويبلغ ألف مليون عدد الناس الذين بلا بيت .
بحثاً عن حلّ لهذه المشكلة ، يقوم الخبراء بدراسة النموذج
المسيحي للقديس سمعان العمودي الذي عاش سبعاً وثلاثين عاماً في
عنوان على عمود .
في الصباح ، كان القديس سمعان ينزل ليصلي صلواته ، وفي الليل
يقيد نفسه ، في أعلى العمود ، كيلا يسقط وهو نائم .

18 ايار

رحلة الذاكرة

في العام 1781 جرى تمزيق توباك آمارو بالفؤوس في وسط ساحة السلاح بمدينة كوسكو.

بعد قرنين من ذلك، كان طفل حافي القدمين يُلمع أحذيةً في ذلك المكان بالذات حين سأله سائح إن كان يعرف توباك آمارو. ودون أن يرفع الطفل ماسح الأحذية رأسه، قال أجل إنه يعرفه. وبصورة سرية تقريباً، بينما هو يواصل عمله، دمدم:
- إنه الريح.

19 ايار

النبى مارك

كان مارك توين قد أعلن:

- أنا وصلتُ مع المذنب هالي، في عام 1835. المذنب سيعود في العام 1910، وآمل أن أذهب معه. لا شك أن كلي القدرة قد قال: «وهنا ظاهرتان شانتان لا تفسير لهما. جاءا معاً، ومعاً يغادران». المذنب هالي زار الأرض في مثل هذه الأيام من العام 1910. أما توين، فاقد الصبر، فغادر قبل شهر من ذلك.

20 ايار

تفكير سليم نادر

في 1998، أصدرت فرنسا قانوناً يختصر ساعات العمل إلى خمس وثلاثين ساعة أسبوعياً.

عمل أقل، حياة أطول: هذا ما حلم به توماس مور في مؤلفه *يوتوبيا*، ولكن كان لا بد من الانتظار خمسة قرون كي تتجراً أمة أخيراً على اقتراح مثل ذلك الفعل الذي ينم عن حس سليم.

ففي نهاية المطاف، ما هي فائدة الآلات ما لم تختصر وقت العمل وتوسع مجالات حريتنا؟ ولماذا على التطور التكنولوجي أن يهدي إلينا بطالة وغمماً؟

لمرة واحدة، كان هناك بلد، على الأقل، تجراً على تحدي الحيف. ولكن التفكير السليم لم يدم طويلاً. فقانون الخمس والثلاثين ساعة مات بعد عشر سنوات.

21 ايار

يوم التنوع الثقافي

في العام 1906، وصل قزم صياد من أدغال الكونغو إلى حديقة حيوان برونكس في نيويورك.

سُمي أوتا بينغا، وقد عُرض للجمهور في قفص، إلى جانب قرد أورانغتان وأربعة قرود شمبانزي. كان الخبراء يشرحون للجمهور أن شبيه الإنسان ذاك يمكن أن يكون الحلقة المفقودة، وكي يؤكدوا هذه الشكوك عرضوه برفقة إخوته ذوي الوبر الكثيف.

بعد بعض الوقت، جرى إنقاذ القزم الزنجي على يد الإحسان المسيحي.

لقد فعلوا كل ما هو ممكن، ولكن لم تكن ثمة وسيلة. أوتا بينغا يرفض إنقاذه. فهو لا يتكلم، ويكسر الأطباق على المائدة، ويضرب من يحاول لسه، ولم يكن قادراً على ممارسة أي عمل، ويظل صامتاً في كورال الكنيسة، وبعض من يرغب في أن تُلقت له صورة معه. في نهاية شتاء 1916، بعد عشر سنوات من التدجين، جلس أوتا بينغا إلى جانب النار، تعرى، أحرق الملابس التي أجبروه على لبسها وسدد إلى قلبه المسدس الذي سرقة.

22 ايار

تان تان بين المتوحشين

اليوم، من عام 1907، ولد الرسام البلجيكي هيرجيه، أبو تان تان. تان تان، بطل تاريخي، جسد فضائل العرق الأبيض الحضارية. في أشد مغامراته نجاحاً، زار تان تان الكونغو، وكانت لا تزال ملكية بلجيكية، وهناك ضحك كثيراً من بلاهات الزنوج المضحكة وتسلى بالصيد. أعدم خمسة عشر ظيماً، وسلخ قرناً ليتنكر في جلده، وفجر وحيد قرن بحشوة ديناميت وأطلق النار على الأفواه المفتوحة لعدد من التماسيح. ويقول تان تان إن الفيلة تتكلم الفرنسية أفضل من الزنوج. وكسي يحمل معه تذكراً، قتل فيلاً وانتزع نابيه العاجيين. كانت الرحلة ممتعة جداً.

23 ايار

تصنيع السلطة

في العام 1937 مات جون د. روكفلر، مالك العالم، ملك البترول، مؤسس ستاندرد أويل كومباني.
عاش قرابة قرن.
عند تشريح الجثة، لم يُعثر على أي وسواس ضمير.

24 ايار

الهرطقة والقديسون

في هذا اليوم من عام 1543، مات نيكولاس كوبرنيكوس.
مات بينما كانت توضع في التداول أولى النسخ من كتابه الذي يُثبت فيه أن العالم يدور حول الشمس.
الكنيسة حظرت الكتاب، لأنه زيف ومناقض للكتابات المقدسة.
وأرسلت إلى المحرقة الأسقف جيوردانو برونو لأنه وزعه، وأجبرت غاليليو غاليلي على إنكار أنه قرأه وآمن به.
بعد ثلاثة قرون ونصف القرن أعرب الفاتيكان عن ندمه لأنه شوى جيوردانو برونو حياً وأعلن أنه سيقوم، في حدائقه، تمثالاً لغاليليو غاليلي.

ولكنه في الوقت الذي كان يغفر به لهؤلاء الهرطقة، طُوب الكردينال روبرتو بيلارمينو قديساً، القديس روبرتو الذي في السماء، هو من اتهم برونو وغاليلي وحكم عليهما.

25 ايار

هرطقة

في العام 325، وفي مدينة نيقية، عُقد المجمع المسكوني الأول للمسيحية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين الأول. خلال الشهر الثلاثة التي تواصل فيها المجمع، صادق ثلاثمئة أسقف على بعض العقائد الضرورية للنضال ضد الهرطقة، وقرروا أن كلمة *herejía* (هرطقة)، المشتقة من *haíresis* اليونانية، وتعني اختيار، سيصبح معناها خطأ. أي: يرتكب خطأ كل من يختار بحرية ولا ينصاع لسيادة الإيمان.

26 ايار

شرلوك هولمز مات مرتين

ميتة شرلوك هولمز الأولى حدثت عام 1891. قتله أبوه: الكاتب كانون دوويل لأنه لم يعد يتحمل أن يكون مخلوقه المتحذلق أوسع شهرة منه؛ فعمد إلى رمي شرلوك هولمز من فوق أحد المرتفعات إلى هاوية جبال الألب. عرف الخبر بعد قليل من ذلك، حين نشرته مجلة *ستراوند*. عندئذ ارتدى الجميع ملابس الحداد، وفقدت المجلة قراءها وفقد الكاتب أصدقاءه.

لم يتأخر طويلاً بعثُ التحري الأوسع شهرة. لم يجد كانون دوويل مفرأً من إعادته إلى الحياة. أما عن ميتة شرلوك هولمز الثانية فلم يُعرف أي شيء. ففي بيته في

شارع بيكر ستريت، لا أحد يردّ على الهاتف. لقد جاءت ساعته، وهذا مؤكّد، لأننا مدينون للموت، ولكن ما يلفت الانتباه أن خبر وفاته لم ينشر قطّ على صفحات جريدة التايم.

27 ايار

عزيزي المتشرد

في العام 1963 مات فرناندو. لقد كان حراً. كان الجميع، ولم يكن أحداً. حين كان يتعب من الركض بقفزات قطّ في الساحة، يمضي متسكعاً في الأزقة مع أصدقائه المغنين وعازفي الجيتارات، ومعهم يتوجه نحو الموسيقى، أينما تصدح، متنقلاً من حفلة إلى حفلة. لم يكن يتغيب عن الحفلات الموسيقية. ناقد مرهف السمع، يهز ذيله إذا أعجبه ما يسمعه. وإذا لم يعجبه يزمجر. عندما ألفت عليه القبض دورية الحيوانات المتشردة، حرره جمع من الناس. وعندما صدمته سيارة، عالجه أفضل طبيب، وأدخله إلى عيادته لمواصلة العلاج. خطايا الجسد التي كان يقترفها في الطريق العام، كانت تُعاقب بركلات تخلفه مضعماً، عندئذ تهرع فرق الأطفال في نادي بروغريسو لتقدم له عناية مركزة. في مدينته، مدينة ريسستينسيا، في مقاطعة تشاكو الأرجنتينية، توجد ثلاثة تماثيل لفرناندو.

28 ايار

أوشفيتشيم

في هذا اليوم من عام 2006، تمشى البابا بيندكت، حبر الكنيسة الكاثوليكية الأعلى، في حدائق المدينة التي تسمى، باللغة البولونية، أوشفيتشيم.

عند حدّ معين من النزهة، تبدل المشهد.

مدينة أوشفيتشيم، تسمى باللغة الألمانية أوشفيتز.

وفي أوشفيتز تكلم البابا من مصنع الموت الأوسع شهرة في العالم،

وسأل:

– والرب، أين كان الرب؟

ولم يخبره أحد بأن الرب لم يبدل عنوانه قطّ.

وتساءل:

– لماذا ظل الرب صامتاً؟

ولم يوضح له أحد أن من ظل صامتاً هي الكنيسة، كنيسة التي

تتكلم باسم الرب.

29 ايار

مصاصو دماء

في صيف العام 1725، نهض بيتر بلاغوفتش من تابوته، في قرية كيسلجيفو، وعض تسعةً من أهالي القرية وشرب دمهم. وبأمر من حكومة النمسا، وهي من كانت تحكم آنذاك في تلك الأنحاء، قامت قوات حفظ النظام بقتله بصورة نهائية بغرس وتد خشبي في قلبه.

لقد كان بيتر أول مصاص دماء مُعترف به رسمياً، والأقل شهرة.
أما الأوسع شهرة فهو الكونت دراكولا الذي ولد من ريشة برام
ستوكر، عام 1897.

بعد أكثر من قرن من ذلك، تقاعد دراكولا. لم تقلقه أدنى قلق
منافسة مصاصي ومصاصات الدماء المتبحرين الذين تُصنَعهم هوليوود،
ولكنه كان يشعر بالنغم حقاً من مآثر أخرى لا يُعلى عليها.
لم يجد مفرأً من التقاعد. لأنه صار يشعر بعقدة نقص لا خلاص
منها حيال المتنفذين النهمين الذين يؤسسون مصارف ويُغرقونها ويمصون
دم العالم كما لو أنه رقبة.

30 ايار

من المحرقة إلى المذبح

في هذا اليوم من عام 1431، أحرقت حبة فتاة في التاسعة عشرة في
السوق القديم بمدينة رُوان.

صعدت إلى منصة الموت وعلى رأسها قبعة كبيرة جداً كُتِبَ عليها:

مطوقية

مجرمة

مرتدة

وللية

بعد إحراقها، أُلقي رمادها في نهر السين من أعلى أحد الجسور،
كي تحملها المياه بعيداً.

لقد أدانتها الكنيسة الكاثوليكية والمملكة الفرنسية.

كان اسمها جان دارك.
أيعني لكم هذا الاسم شيئاً؟

31 ايار

غير قابلة للاحتراق

السيدة جيرارديل، صانعة معجزات، أصابت الجمهور الأوروبي بالحوّل في العام 1820.

كانت تداعب ذراعيها بشموع مشتعلة، وترقص حافية على الموقد وتقلّب بيديها، تستحم بالسنة اللهب، وتتفرغر بزيت يغلي، وتبتلع ناراً، وتمضغ جعراً وتبصقه وقد تحول إلى جنبيات إسترلينية... وبعد ذلك العرض الملتهب، تعرض جسدها غير المتأثر، وبشرتها التي بلون الثلج، وتلقى التصفيق.

- إنها مجرد خدع - يقول المنتقدون.
أما هي فلم تكن تقول شيئاً.

حزيران / يونيو

1 حزيران

قديسون ذكور

في العام 2006 حاول حزب الإحسان والحرية والتنوع التسجيل قانونياً في هولندا.

وقال هذا التجمع السياسي الجديد إنه يمثل الرجال الذين كرسوا حياتهم الجنسية والإيروتيكية لعلاقات حرة مع أطفال وطفلات.

وطالب بيان الحزب التأسيسي بتشريع بورنوغرافيا الطفولة وكافة أشكال العلاقات الجنسية مع القاصرين.

قبل ثمانية أعوام من ذلك، أعلن نشطاء الإحسان والحرية والتنوع هؤلاء، على الانترنت، عن اليوم العالمي لحب الطفل.

لم يجمع الحزب عدد التواقيع المطلوب، ولم يستطع المشاركة في أي انتخابات، وفي العام 2010... انتحر

2 حزيران

الهنود أشخاص

في العام 1537، أصدر البابا باولو الثالث براءة بابوية.

البراءة البابوية جاءت صدمة ضد من، رغبة منهم في إشباع

جشعهم، يتجرؤون على التأكيد أنه يجب توجيه الهنود ليكونوا مطيعين لنا، كما لو أنهم بهائم، بحجة أنهم يجهلون الديانة الكاثوليكية.

ودفاعاً عن سكان العالم الجديد الأصليين أقر بأنهم بشر حقيقيون، وباعتبارهم بشراً حقيقين يمكن لهم أن يستخدموا، ويمتلكوا ويستمتعوا بحريتهم بصورة حرة ومشروعة، ويتحكموا بممتلكاتهم، وألا يُحولوا إلى عبيد.

في أمريكا لم يعلم أحد بهذا القرار.

3 حزيران

انتقام اتاوالبا

كانت قرية تامبو غراندي تنام على فراش من ذهب.

هنالك ذهب تحت البيوت، ولا أحد يدري به.

وصل الخبر مع الأمر بإخلاء القرية. فقد باعت حكومة البيرو القرية كلها لشركة مناهاتن مينرالز كورپوريشن.

الجميع سيصبحون الآن مليونيرات، هذا ما قالوه لهم. ولكن لم ينصع أحد. في هذا اليوم من العام 2002 عرفت نتيجة الاستفتاء: سكان تامبو غراندي قرروا مواصلة العيش على الأفوكاتو، والمنجا، والليمون وغيرها من ثمار الأرض التي أكتسبت بالجهد والعمل من الصحراء.

فهم يعرفون جيداً أن الذهب يصيب باللعنة الأمكنة التي يظهر فيها؛ يخلف جبلاً منسوفة بالديناميت وأنهاراً مسممة بمخلفات الشركات

المنجمية، تتضمن من السيانور السام أكثر مما تتضمن من الماء المبارك. وربما أنهم يعرفون أيضاً أن الذهب يصيب البشر بالجنون، لأن الجوع إلى الذهب يزداد أكثر كلما أكل منه. في العام 1533، أمر الفاتح الإسباني فرانسيسكو بيثارو بخلق أتاوالبا، ملك البيرو، على الرغم من أن أتاوالبا قدم إليه كل ما طلبه من الذهب.

4 حزيران

ذاكرة المستقبل

حسب ما تعلمناه في المدرسة، اكتشاف تشيلي تم في العام 1536. الخبر لم يثر استغراب هنود المابوتشي الذين كانوا قد اكتشفوا تشيلي قبل ذلك بثلاثة آلاف عام. في العام 1563، قاموا هم أنفسهم بمحاصرة حصن الغزاة الإسبان. كان الحصن على وشك السقوط مدمراً بغضب آلاف الهنود حين صعد القائد لورينثو بيرنال إلى السور وقال صارخاً:

– نحن من سنكسب على المدى الطويل! إذا افتقرنا إلى نساء إسبانيات، لدينا هنا نساؤكم. ومنهن سننجب أبناء يكونون أسياداً عليكم.

ترجم المترجم. واستمع إليه الزعيم الهندي كولوكولو كمن يسمع هطول مطر.

ولم يستطع أن يفهم النبوءة الحزينة.

الطبيعة ليست صامتة

الواقع يرسم طبيعة ميتة.

الكوارث توصف بأنها طبيعية، كما لو أن الطبيعة هي الجراد وليس الضحية، بينما المناخ يتحول إلى مجنون يجب تقييده، ونحن أيضاً. هذا اليوم هو يوم البيئة العالمي. إنه يوم جيد للاحتفاء، بدستور الإكوادور الجديد الذي اعترف عام 2008، لأول مرة في تاريخ العالم، بالطبيعة كشخصية اعتبارية لها حقوق.

يبدو غريب الوقع هذا الكلام عن أن يكون للطبيعة حقوق، كما لو أنها شخص. ولكن بالمقابل، يبدو طبيعياً جداً وقع القول إن لشركات الولايات المتحدة الكبرى حقوقاً إنسانية. وهي تمتلك هذه الحقوق بقرار من محكمة العدل العليا منذ العام 1886. لو كانت الطبيعة مصرفاً لأنقذوها.

الجبال التي كانت

في القرنين الأخيرين جرى قطع رؤوس أربعمئة وسبعين جبلاً في سلسلة جبال الأبالاش الأمريكية، وتسميتها هذه تخليد لذكرى سكان المنطقة الأصليين.

لقد أزيح أولئك السكان الأصليون لأنهم يقيمون في أراض خصيبة. وقد أفرغت الجبال لأنها تحتوي مكانم فحم.

7 حزيران

الملك الشاهر

مات نيساهو الكويوتل قبل أن تطأ قدما كولومبس شواطئ أمريكا
بعشرين عاماً.

كان ملك تيكسكوكو، في وادي المكسيك الفسيح.
وهناك خلف صوته:

بنكسر، حتى لو كان نهباً،
بتحطم، حتى لو كان حجر يذهب،
بتمزق، حتى لو كان من ريش الكينزال.
لا أحد منا يعيش إلى الأبد،
وكذلك الأمراء إنما من أجل الطوت جاؤوا.
جميعنا سنذهب إلى منطقة العسر
وهل تراثنا جئنا إلى الأرض عبثاً؟
ولكننا نخلف، على الأقل، أغنياتنا.

8 حزيران

تدنيس المقدمات

في العام 1904. افتتح مايكل أنجلو عمله البارح: انتصب تمثال
داوود في الساحة الرئيسية بمدينة فلورنسا.
شتائم وأحجار انهالت تستنكر ذلك المارد العاري تماماً.
وأجبر مايكل أنجلو على تغطية الفحش بورقة كرمة، مُفصّلة من
النحاس.

منتهكات للمحرمات

في العام 1901، عقدت إليسيا سانتشيث ومارثيلا غراثيا قرانهما في كنيسة القديس جورج، في مدينة لاکورونيا الغاليسية. إليسيا ومارثيلا كانتا متحابتين سراً. ومن أجل تطبيع الوضع، بزفاف، وكاهن، ومحضر مكتوب، وصور، كان لا بد من اختلاق زوج: تحولت إليسيا إلى ماريو، ارتدت ملابس رجل، قصت شعرها وتكلمت بصوت مختلف.

في ما بعد، حين عُرف الأمر، رفعت كل صحف إسبانيا الصوت حتى السماء حيال تلك الفضيحة بالغة القذارة، ذلك التصرف غير الأخلاقي المشين، وانتهزت تلك المناسبة المؤسفة لتبييع كما لم تبع من قبل قط، بينما الكنيسة التي خُدعت بطيب إيمانها، تقدمت بشكوى إلى الشرطة ضد انتهاك الحرمات المقترف. وانطلقت حملة الصيد.

هربت إليسيا ومارثيلا إلى البرتغال.

وفي أوبورتو زُج بهما في السجن.

حين هربتا من السجن، بدلتا اسميهما وذهبتا في البحر.

وفي مدينة بوينس آيرس ضاعت آثار الهارتين.

وبعد قرن من ذلك

في مثل هذه الأيام من عام 2010، افتُتح في بوينس آيرس الجدل حول مشروع قانون تشريع زواج الشاذين جنسياً.

أعداء المشروع أعانوا حرب الرب ضد زيجات الجحيم، ولكن المشروع راح يتغلب على العقبات، على امتداد طريق شائك، إلى أن تحولت الأرجنتين في يوم الخامس عشر من تموز إلى أول بلد أمريكي لاتيني يعترف بالمساواة الكاملة لجميعهن وجميعهم في قوس قزح التنوع الجنسي.

لقد كانت هزيمة للنفاق السائد الذي يدعو إلى العيش منصاعاً والموت كاذباً، وكان هزيمة لمحاكم التفتيش المقدسة التي تُبدّل أسماءها ولكن لديها على الدوام حطبا للمحرقة.

11 حزيران

الرجل الذي باع برج إيفل

الكونت فيكتور لوستيغ، نبي عباقرة وول ستريت، سُمي بعدة أسماء وبعده ألقاب نبالة، أقام في عدة بلدان، وبعده لغات عرف كيف يكذب بكل إخلاص.

في ظهيرة هذا اليوم من عام 1925، كان الكونت يقرأ الجريدة في فندق كريون بباريس حين خطرت له واحدة من تلك الأفكار الطيبة التي تسمح له بقتل الجوع عندما يملّ من لعب البوكر. وبعده باع برج إيفل.

طبع أوراقاً ومغلقات تحمل شعار مكتب عمدة باريس، وبتواطؤ مهندس معماري صديق اخترع معطيات تقنية تقول إن البرج آيل إلى السقوط بسبب خطأ في البناء لا سبيل إلى إصلاحه.

زار الكونت المرشحين المحتملين واحداً واحداً، ودعاهم إلى شراء –

بسر بخس – آلاف وآلاف أطنان الحديد. كانت المسألة سرية، لأنها تتعلق بأبرز رموز الأمة الفرنسية، ولا بد من تجنب الفضيحة العامة بأي ثمن. جرت عمليات البيع بصمت وبسرعة، لأن انهيار البرج كان وشيكاً جداً.

12 حزيران

تفسير السر الغامض

في العام 2010، اعترفتُ الحربُ ضد أفغانستان بسبب وقوعها: كشف البنتاغون أنه توجد في تلك البلاد مكامن معادن تساوي أكثر من مليون مليون دولار.

وتلك المكامن لا تتضمن طالبان.

إنها تتضمن ذهباً، ونحاساً، وحديداً، وأهم من هذا كله الليثيوم الذي لا غنى عنه في الهواتف الخلوية وأجهزة الكمبيوتر المحمول.

13 حزيران

أضرار جانبية

في مثل هذه الأيام من العام 2010 عُرف أن أعداد الجنود الأمريكيين المنتحرين في تزايد. حالات الانتحار صارت تعادل تقريباً أعداد من يموتون في المعارك.

من أجل حلّ هذه المشكلة، قرر البنتاغون مضاعفة عدد المتخصصين في الصحة الذهنية الذين يشكلون القطاع التعاقدى الأوسع في القوات المسلحة.

العالم آخذ بالتحول إلى ثكنة عسكرية هائلة، والثكنة العسكرية الهائلة آخذة بالتحول إلى مستشفى مجانيين بحجم العالم. وفي مستشفى المجانين هذا، من هم المجانين؟ أم الجنود الذين يقتلون أنفسهم أم الحروب التي تأمرهم بالقتل؟

14 حزيران

الراية قناعاً تنكرياً

في هذا اليوم من العام 1982، خسرت الدكتاتورية الأرجنتينية الحرب. الجنرالات استسلموا بوداعة، دون أن يصابوا ولو بجرح حلاقة ذقن، هؤلاء الجنرالات الذين أقسموا على أن يقدموا حياتهم من أجل استعادة جزر المالوين التي اغتصبتها الإمبراطورية البريطانية. تقسيم عسكري للعمل: أولئك الأبطال في اغتصاب النساء المقيدات، أولئك الشجعان في التعذيب وفي سرقة أطفال السجينات حديثي الولادة وسرقة كل ما استطاعوا سرقة، انهمكوا في الخطابات الوطنية الحماسية، بينما هم يرسلون إلى المسلخ الشباب المجندين من أشد الأقاليم فقراً، ممن ماتوا في جزر الجنوب البعيدة تلك بالرصاص أو من البرد.

15 حزيران

امراة تروي

أخضع عدد من الجنرالات الأرجنتينيين للمحاكمة على مآثرهم التي اقترفوها خلال الدكتاتورية العسكرية.

سيلفيا برودي، طالبة متهمة بأنها محتجة مشاكسة، كانت واحدة من الذين اختفت آثارهم إلى الأبد.

سيسيليا، صديقتها المفضلة، قدمت شهادتها أمام المحكمة في العام 2008. تحدثت عن التعذيب الذي تعرضت له في الثكنة العسكرية، وقالت إنها هي من أعطتهم اسم سيلفيا بعد أن لم تعد قادرة على تحمل مزيد من التعذيب كل نهار وكل ليل:

– لقد كنتُ أنا... أنا من أخذتُ الجلادين إلى البيت الذي كانت فيه سيلفيا. أنا رأيتها تخرج بالدفش، بأعقاب البنادق، بالركلات. أنا سمعتها تصرخ.

وعند خروجها من المحكمة، اقترب أحدهم منها وسألها بصوت خافت:

- وبعد ذلك كله، ما الذي فعلته كي تبقي على قيد الحياة؟
- فردت عليه، بصوت أشد خفوتاً:
- ومن قال لك إنني على قيد الحياة؟

16 حزيران

لدي شيء أقوله

أوسكار لينيرا واحد من آلاف الفتيان المغييبين الذين اختفت آثارهم في الأرجنتين. وما جرى له بلغة العسكريين، أنه نُقل. ببيرو دي مونتي، كان سجيناً معه في الثكنة نفسها، وقد سمع كلماته الأخيرة:

– لدي ما أقوله. أتعلمون شيئاً؟ أنا لم أمارس الحب قط. وهم سيقتلونني الآن دون أن أكون قد عرفتُ هذا الشيء.

توماسا لا تدفع

في العام 1782، حكمت عدالة مدينة كيتو بأنه على توماسا سوريستا أن تدفع الضرائب المتوجبة على أقمشة اشترتها من مدينة غواياكيل. فالرجال وحدهم كانوا يتمتعون بالقدرة القانونية على البيع والشراء. - تقاضوا المبلغ من زوجي - قالت توماسا - **فالقانون يعتبرنا غيبات. وإذا كنا نحن النساء غيبات في قبض النقود، فإننا غيبات في دفعها أيضاً.**

سوزان لم تدفع أيضاً

الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة سوزان أنتوني، القطاع الشمالي من نيويورك، 18 حزيران 1873. مدعي عام القطاع ريتشارد كروليسي: **في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني 1872، صوتت سوزان آ. أنتوني لمثل في كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية. في ذلك الحين كانت امرأة، وأعتقد أنه لا وجود لشكوك حول هذا الأمر. ولأنه لا يحق لها التصويت. تعتبر مذنبه بخرق القانون.** القاضي ورد هانت: **لقد جرت محاكمة السجينة وفق ما يقره القانون.**

سوزان أنتوني: **أجل، يا صاحب السيادة، ولكن هذه القوانين**

وضعها الرجال، وفسرها رجال ويديرها رجال لمصلحة الرجال وضد النساء.

القاضي ورد هانت: فتنهض السجينة واقفة. حُكم هذه المحكمة يفرض عليها دفع غرامة مئة دولار إضافة إلى تكاليف المحاكمة. سوزان أنتوني: لن أدفع دولاراً واحداً أبداً.

19 حزيران

إنذار: دراجات !

- الدراجة فعلت أكثر من أي شيء، وأكثر من الجميع، من أجل تحرر النساء في العالم - هذا ما قالته سوزان أنتوني. وكانت زميلتها في النضال إليزابيث ستانتوس تقول: - إننا نحن النساء ننتقل، ونحن ندير الدواسة، نحو حق التصويت. بعض الأطباء، مثل فيليب تايسي، كانوا يُحذرون من أنه يمكن للدراجة أن تسبب الإجهاض والعقم، وكان زملاء آخرون له يؤكدون أن هذه الأداة غير المحتشمة تؤدي إلى الفسق، لأنها تمنح متعة للنساء باحتكاك أجزائهن الحميمة بالمقعد.

والحقيقة أن النساء، بسبب الدراجة، كن يتنقلن على هوائن، يغادرن البيت ويستمتعن بلذة خطر الحرية. وبسبب الدراجة، غادر مشدّ الأسلاك الضاغط خزائن ملابسهن، لأنه يحول دون القدرة على تحريك الدواسة، وذهب إلى المتاحف.

20 حزيران ذلك العائق

صوتها السوبرانو كان قادراً على منح لون لكل حرف تنطقه، وقد أثارت تصفيقاً حماسياً في ريو دي جانييرو.
بعد قليل، في أواخر القرن الثامن عشر، كانت جواكينا لابينا أول مغنية برازيلية تغزو أوروبا.

كارل روديرز، رحالة سويدي مغرم بالأوبرا، استمع إليها في العام 1800، في أحد مسارح لشبونة، وامتدح بحماسة صوتها البديع، وشخصيتها المتسلطة، وحسها الدرامي العظيم.
من المؤسف أن لجواكينا بشرة سوداء – نُبّه روديرز – ولكن هذا العائق يمكن معالجته بمستحضرات التجميل.

21 حزيران

جميعنا أنت

في العام 2001 بدت مفاجئة مباراة كرة القدم بين فريقى تريفيسو وجنوا.

لاعب فريق تريفيسو، أكيم أومولادي، الأفريقي النيجيري، كان يُقابل عادة بصفير وزمجات ساخرة وأغنيات عنصرية في الملاعب الإيطالية.

ولكن الصمت هو الذي ساد في هذا اليوم. فلاعبو فريق تريفيسو العشرة الآخرون لعبوا المباراة ووجوههم مطلية باللون الأسود.

خاصرة العالم

في العام 234 قبل المسيح، قام عَالِمٌ يدعى إراتوستينس بغرس عصا، في منتصف النهار، بمدينة الإسكندرية، وقاس ظلها. بعد سنة من ذلك، وفي الساعة نفسها بالضبط من اليوم نفسه، غرس العصا نفسها في مدينة أسوان، وأثبت أنها لم تشكل أي ظل. استنتج إراتوستينس أن الفرق بين وجود ظل وعدم وجود أي ظل يؤكد أن العالم كروي وليس مسطحاً. عندئذ قاس المسافة بين المدينتين، بالخطوة البشرية، وانطلاقاً من تلك المعلومات حاول أن يحسب مقياس خصر العالم. أخطأ بتسعين كيلومتراً.

فيران

في منتصف ليل هذا اليوم، تندلع النيران. الناس يجتمعون حول المواقد المتعالية. في هذه الليلة ينظفون البيوت والأرواح. يلقون إلى النار بالأمثلة القديمة والرغبات القديمة، أشياء ومشاعر مستنفدة بفعل الزمن، من أجل أن تولد أخرى جديدة وتجد لها مكاناً. من شمال العالم انتشرت هذه العادة في كل الأنحاء. وكانت على الدوام عيداً وثنياً. على الدوام، إلى أن قررت الكنيسة الكاثوليكية أن هذه الليلة ستكون ليلة القديس يوحنا.

24 حزيران

الشمس

ابتداء من فجر هذا اليوم يقام عيد الشمس، الإنتي رايمي، في سهوب وجبال منطقة الأنديز.
في بداية الأزمنة، كانت الأرض والسماء مظلمتين. ولم يكن هناك سوى ليل.
عندما ظهرت المرأة الأولى والرجل الأول من مياه بحيرة تيتيكاكا، ولدت الشمس.
لقد اخترع فيركوتشا – رب الأرباب – الشمس كي يتمكن الرجل والمرأة من رؤية أحدهما الآخر.

25 حزيران

القمر

مات الشاعر الصيني لي بو في العام 762، في ليلة مثل هذه.
مات غرقاً.
سقط من المركب عندما خطر له أن يعانق القمر المنعكس في مياه نهر يانغتسي.
كان لي بو قد بحث عن القمر في ليالٍ أخرى:
أشربُ وحيداً.
لا أحد من الأصدقاء قريب مني،
أرفع كأسِي،
أدعو القمر

وَادْعُو ظَلْمِي.
لِحَنِّ الْآنِ ثَلَاثَةَ.
لَكِنِ الْقَمْرَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يَشْرِبَ
وَظَلْمِي لَا يَعْرِفُ إِلَّا مُحَلْكَاتِي.

26 حزيران مملكة العالم

اليوم هو يوم مناهضة التعذيب
وبسخرية مأساوية، ولدت دكتاتورية الأروغواي في اليوم التالي،
عام 1973، وحولت البلاد كلها إلى حجرة تعذيب هائلة.
التعذيب ينفع قليلاً أو لا ينفع شيئاً في انتزاع معلومات، ولكنه
كان مفيداً في زرع الخوف، والخوف أجبر الأروغوايين على أن يعيشوا
صامتين أو كاذبين.

حين كنتُ في المنفى، تلقيت رسالة مغلقة:
من المزعم الكذب، ومزعج أكثر الاعتقاد على الكذب.
ولكن الأسوأ من الكذب هو تعليم الكذب.
وأنا لذي ثلاثة أبناء.

27 حزيران جميعنا مذنبون

المرجع في التفتيش، وقد نشره ديوان محاكم التفتيش المقدسة في

القرن الرابع عشر، ينشر قواعد التعذيب، وأهم قاعدة منها تأمر:
يُعذب المتهم الذي يتردد في إجاباته.

28 حزيران

الجحيم

في العام 960 غزا المبشرون المسيحيون اسكندينايفيا، وتوعدوا شعب
الفايكنغ: إذا ما ظلتم على عاداتكم الوثنية، ستذهبون إلى الجحيم،
حيث تتقد النار الأبدية.
الفايكنغ شكروهم على هذا الخبر الطيب. فقد كانوا يرتجفون من
البرد، وليس من الخوف.

29 حزيران

عالمنا عالم الغيب

يقال إنه قد قيل إن هذا اليوم هو يوم القديس بطرس، ويقال إنه
هو من يحتفظ بمفاتيح الفردوس.
كيف لأحدنا أن يعرف ذلك.
مصادر واسعة الإطلاع تؤكد أن الفردوس والجحيم ليسا سوى
اسمين للعالم، وكل واحد منا يحملهما في أعماقه.

ولدت مزعجة

في هذا اليوم من العام 1819، جرى في بوينس آيرس تعميد خوانا مانسو.

الماء المقدس أدخلها في طريق الوداعة، ولكن خوانا مانسو لم تكن وديعة قط.

فعلى الرغم من الصعاب والعقبات، أسست في الأرجنتين وأروغواي مدارس علمانية ومختلطة، حيث تختلط طفلات مع الأطفال، ولم يكن تدريس الديانة إجبارياً، وكانت العقوبة البدنية محظورة.

كتبت أول نص مدرسي للتاريخ الأرجنتيني وعدة مؤلفات أخرى. منها رواية تدين بقسوة النفاق الزوجي.

أسست أول مكتبة عامة في المناطق الداخلية من البلاد. طلقت حين لم يكن الطلاق موجوداً.

وكانت صحف بوينس آيرس تستمتع بشتمها. وعندما ماتت، رفضت الكنيسة منحها مدفناً.

تموز / يوليُو

1 تموز

الإرهابيون نقصوا واحداً

في العام 2008، قررت الولايات المتحدة شطب اسم نيلسون مانديلا من قائمة الإرهابيين الخطرين.
طوال ستين عاماً، ظل الأفريقي الأوسع شهرة في العالم جزءاً من تلك القائمة الغامضة.

2 تموز

ما قبل تاريخ اولمبي

تصفيق للاستعراض الانثروبولوجي في افتتاح الألعاب الأولمبية عام 1904، في مدينة سانت لويس الأمريكية.
استعرض الزوج والسكان الأصليون والصينيون والأقزام والنساء.
لم يستطع أحد منهم المشاركة في المنافسات الرياضية التي بدأت في اليوم التالي واستمرت خمسة شهور.
فريد لورز، أبيض وفحل، كسب سباق الماريتون، وكان الماريتون هو المسابقة الأوسع شعبية. بعد قليل عُرف أنه قد اجتاز نصف المسافة في سيارة صديق.
كانت تلك هي آخر عملية غش رياضية بعيدة عن الصناعة الكيميائية.
منذ ذلك الحين صار عالم الرياضة أكثر حداثة.

فالرياضيون ما عادوا يتنافسون وحدهم. بل صارت تتنافس معهم أيضاً الصيدليات التي تتنازع المنافسة.

3 تموز

الحجر في الحضرة

كانت قد مضت ثلاثة شهور منذ أن أصدر الملك جيمس الثاني حظر لعبة الغولف، في العام 1457، ولم يوله أحد من الاسكتلنديين أي اهتمام. دون طائل كرر العاهل الأمر: من الضروري أن يكرس الشباب أفضل طاقاتهم لفن الرماية الذي لا بد منه للدفاع الوطني، بدلاً من إضاعة الوقت بضرب كرات صغيرة.

ولكن الغولف كانت قد ولدت في حقول اسكتلندا الخضراء، في حوالي العام ألف، حين كان الرعاة يقتلون الضجر بمحاولة إدخال أحجار في جحور الأرانب؛ ومازال هذا التقليد شائعاً لا يُهزم. في اسكتلندا يوجد أقدم ملعب غولف في العالم. إنها ملكية عامة والدخول إليهما مجاني. إنهما نادران في العالم. فالقاعدة العامة أن هذه الرياضة، الخاصة جداً، تنتمي إلى القلة الذين يلتهمون المكان كله ويشربون ماءنا.

4 تموز

صليب الجنوب

في هذه الليلة من عام 1799، اكتشف فون هومبولد وإيميه بونبلان صليب الجنوب.

كانا يبهران عبر البحر الفسيح عندما حيّاهما ذلك النجم الذي لم

يرياه من قبل قط.

صليب الجنوب كان يشير لهما إلى طريق أمريكا.

لم يكن هومبولد وبونبلان آتيان للغزو. ولا يريدان أخذ أي شيء، بل جاءا لتقديم الكثير. وكثير ما منحنا إياه هذان العالمان المغامران اللذان ساعدانا على معرفة أنفسنا واعتراف بعضنا ببعض.

بعد سنوات من ذلك، مع انتهاء الرحلة في أعماق الأراضي الأمريكية، رجع هومبولد إلى أوروبا.

إيميه، دون آمادو، اختار البقاء في هذه الأرض التي صارت أرضه. وحتى نهاية حياته، جمع دون آمادو وصنّف آلاف النباتات المجهولة وأنقذ أعشاباً طبية ضائعة عرفتها تقاليد السكان الأصليين، وأسس صيدليات خضراء مجانية للجميع، حرث، وزرع، وحصد، ورعى أبناء ودجاجاً، تعلم وعلم، عانى السجن ومارس محبة الآخر (ابتداء بالأخريات، كما كان يقول).

5 تموز

حق الضحك

على حدّ قول التوراة، لم يكن لسليمان، ملك إسرائيل، رأيٌ طيبٌ بالضحك.

- إنه جنون - كان يقول.

وعن السعادة

- ما نفعها؟

ويسوع، بحسب الأناجيل، لم يضحك قط.

كان لا بد للحق في الضحك، دون أن يُعتبر اقتراضاً لخطيئة، أن ينتظر إلى أن يولد في مدينة آسيس، في هذا اليوم من عام 1182، طفل

يدعى فرانيسكو.
القديس فرانيسكو دي آسيس ولد مبتسماً، وبعد سنوات وجّه
تلاميذه الرهبان:
- كُونُوا بشوشين. احنروا من الظهور تعساء، غاضبين، منافقين...

6 تموز اخضعني

في هذا اليوم من عام 1810، عُمد في كونيكتيكت طفل يدعى
فينياس بارنوم.
وحين صار كبيراً، أسس السيرك الأشهر بين السيركات.
بدأ السيرك كأنه متحف غرائب ومسوخ، تتوافد إليه الحشود.
ينحنون أمام عبدة عمياء، عمرها 161 عاماً، وكانت قد أرضعت
جورج واشنطن.
يقبلون يد نابليون بونابرت، طوله 64 سنتمراً.
ويتأكدون من الالتصاق التام للأخوين السياميين تشانج وانج، ومن
أن لحوريات بحر السير أذيال أسماك حقيقية.
كان بارنوم أشد الرجال المحسودين من جانب السياسيين
المحترفين في كل الأزمنة. فقد نقل إلى الممارسة العملية، أفضل من
الجميع، اكتشافه الكبير: الناس يحبون أن نخدعهم.

7 تموز هوس فريدا

في العام 1954 جابت مظاهرة شيوعية شوارع مدينة مكسيكو.

وشاركت فيها فريدا كالمو، على كرسي ذي عجلات.
كانت تلك هي آخر مرة رؤيت فيها حية.
فقد ماتت، دون ضجة، بعد فترة قصيرة.
ومضت سنوات عديدة إلى أن أعاد إيقاظها هُوس فريدا، بصخب رهيب.

أهو انبعاث أم تجارة؟ أتستحق ذلك كله فنانة غريبة على النجاح والتجمل، صاحبة صور ذاتية قاسية تُظهرها متصلة الحاجبين وبزغب شارب، تخرقها إبر ودبابيس، ومُجرحة باثنتين وثلاثين عملية جراحية؟ وماذا لو كان ذلك كله أكثر بكثير من مجرد تلاعب تجاري؟ ماذا لو أنه تكريم من الزمن، يحتفل فيه بامرأة قادرة على تحويل الألم إلى لون؟

8 تموز

الزعيم الأبدي

في العام 1994 مات الخالد.

مات، ولكنه لم يمت.

فحسب دستور كوريا الشمالية الذي صاغه هو نفسه، كان ميلاد كيم إيل سونغ في اليوم الأول من عصر الإنسانية الجديد، وكان هو الرئيس الأبدي.

العصر الجديد الذي بدأه هو، يتواصل؛ وهو أيضاً، كيم إيل سونغ، يواصل القيادة من خلال تماثله التي هي أعلى عمارات في البلاد.

9 تموز

شموس يخفيها الليل

في العام 1909، ولد فيتالينو في شمالي شرق البرازيل. والأرض القاحلة، حيث لا ينمو شيء، صارت أرضاً مبتلة، كي ينبثق أبناؤها الذين من طين.

في البدء كانت دمي شكلتها يدها كي ترافق طفولته. ومع مرور الزمن حوّل الدمى إلى منحوتات صغيرة: منحوتات نمور وصيادين، فلاحين مع فؤوسهم يحفرون الأرض القاسية، قوافل المطرودين من الجفاف، وعازقي الجيتارات، والراقصات، والعاشقين، والمواكب الدينية، والقديسين...

وهكذا راحت أصابع فيتالينو تروي مأساة الناس واحتفالهم.

10 تموز

تصنيع روايات

في هذا اليوم المشؤوم من عام 1844، ظل الفرنسيون بلا شيء يقرؤونه. فمجلة إسيكل نشرت الحلقة الأخيرة من التسعة عشر فصلاً من رواية المغامرات التي كانت تلتهمها فرنسا كلها.

انتهت. والآن؟ إنها الفرسان الثلاثة، وقد كانوا في الحقيقة أربعة، من سيقامر بحياته، كل يوم، من أجل شرف الملكة؟

المؤلف، ألكسندر دوماس، كتب ذلك العمل، وثلاثمئة عمل آخر، بإيقاع ستة آلاف كلمة في اليوم. الحاسدون يقولون إن مآثرته الرياضية

الأدبية تلك ما كانت لتتحقق لولا عاداته في توقيع صفحات لآخرين، مسروقة من كتب أخرى أو بدفع أجور بائسة لعمال القلم الذين يعملون من أجله.

ربما كانت مادبه الدائمة التي تُضخم كرشه وتُفرغ جيوبه، تجبره على إنتاج بالجملة لأعمال بالتكليف..

الحكومة الفرنسية دفعت له، مثلاً، مقابل رواية *مونتيڤيديو* أو *طروادة الجديدة*. وكانت صفحاتها مكرسة للمدافعين الأبطال عن ذلك الميناء الذي يدعوه أدولف ثيرز مستعمرتنا في *مونتيڤيديو*، ولم يكن دوماس يعرفها ولو سماعاً. وكان لا بد للعمل من أن يضيف سمواً ملحماً على الدفاع عن الميناء في مواجهة رجال البر، أولئك الغاوتشو الحفاة الذين سماهم دوماس *سياط الحضارة التوحشين*.

11 تموز

تصنيع دموع

في العام 1914، البرازيل بأسرها بكت مع أول تمثيلية إذاعية:

معجون الأسنان كولغيت يقدم...

«بحثاً عن السعادة!»

استوردت الدراما من كوبا وجرى تكييفها مع الواقع المحلي. الشخصيات تملك فائضاً من الأموال، ولكنهم أناس تعساء. في كل مرة يكونون على وشك بلوغ السعادة، يُفسد القدر القاسي كل شيء. ثلاث سنوات مضت على هذه الحال، حلقة بعد حلقة، لم تكن هنالك ولو بعوضة واحدة تطير عندما تأتي ساعة الرواية.

لم يكن هنالك أجهزة مذياع في بعض القرى المخبأة في أعماق البرازيل. ولكن هناك على الدوام من هو مستعد للانطلاق على حصان عدة فراسخ، والاستماع للحلقة، وحفظها جيداً في ذاكرته والعودة خيبياً. وعندئذ يروي الفارس ما سمعه. وروايته التي تكون أطول من الأصل، تجتذب حشداً من الجيران للاستمتاع بآخر النكبات بمتعة الفقراء التي لا تقدر بثمن حين يشعرون بالحزن على الأغنياء.

12 تموز

تكريس الأهداف

في العام 1949 كان بيير بونيبيرتي هداف البطولة الإيطالية ونجمها الأكثر تألقاً.

وحسب ما تقوله الأقوال، ولد مقلوباً، فقد خرجت أولاً قدمه الصغيرة تركز الهواء، ومن المهد بدأ الرحلة نحو مجد كرة القدم. كان نادي جوفينتوس يدفع له بقرة مقابل كل هدف.

Altri tempi.

(أزمنة أخرى)

13 تموز

هدف القرن

في هذا اليوم من عام 2002 أعلنت الهيئة الأعلى لكرة القدم نتيجة استفتاء عالمي أجرته: اختر هدف القرن العشرين.

وقد كسب، بأغلبية ساحقة، هدف ديبغو مارادونا في مونديال 1986، حين كان يرقص والكرة ملتصقة بقدمه مخلفاً وراءه ستة لاعبين إنكليز ضائعين على الطريق.

كانت تلك هي الصورة الأخيرة التي رآها مانويل ألبا أوليفاريس من الدنيا.

كان عمره أحد عشر عاماً، وفي تلك اللحظة الساحرة انطفت عيناه إلى الأبد. لقد حفظ الهدف سليماً في ذاكرته، وهو يصفه أفضل من أفضل المعلقين الرياضيين.

منذ ذلك الحين، ومن أجل أن يرى كرة القدم وأشياء أخرى ليست بأهميتها، يطلب مانويل من أصدقائه أن يعيروه أعينهم.

وبفضلهم، أسس هذا الضرير الكولومبي وترأس نادياً لكرة القدم، فكان ومازال المدير الفني للفريق، يعلق على المباريات في برنامجه الإذاعي، ويغني كي يسلي المستمعين، وفي ساعات فراغه يعمل محامياً.

14 تموز

صندوق الخامسرين

حلمت هيلينا فيبياغرا بصندوق هائل.

تفتحه بمفتاح قديم جداً وتنبثق من الصندوق أهداف ضائعة، وضربات جزاء تائهة، وفرق مهزومة؛ فتدخل الأهداف الضائعة في الرمي، وتصوب الكرات المنحرفة اتجاهها، ويحتفل المهزومون بانتصارهم. ولا تنتهي تلك المباراة أبداً مادامت الكرة تطير، وكذلك اللحم.

15 تموز

طقوس تطهر

في هذه الليلة من عام 1950، عشية نهائي مونديال كرة القدم، نام مواسير باربوسا والملائكة تهدهد له.

لقد كان الرجل المحبوب الأول في البرازيل.

أما في اليوم التالي، فتحول أفضل حارس مرمى في العالم إلى خائن للوطن: لم يتمكن باربوسا من صدّ هدف أروغواي الذي انتزع الفوز العالمي من البرازيل.

بعد ثلاثة عشر عاماً، حين جدّد ملعب ماراكانا مرمييه، أخذ باربوسا عوارض المرمى حيث دخل ذلك الهدف الذي أدّله. وقطع تلك الأخشاب بفأس وأحرقها محولاً إياها إلى رماد. ولكن التطهر لم ينقذه من اللعنة.

16 تموز

عدوي العزيز

أبيض كان قميص البرازيل. ولم يعد أبيضاً قطّ منذ أن أثبتت مونديال 1950 أن هذا اللون يشمل النكبة.

متناً ألف تمثال متحجر في ستاد ماراكانا: كانت المباراة النهائية قد انتهت، وصارت أروغواي بطل العالم، ولم يتحرك الجمهور من أمكنته.

اللاعبان الأفضل، أوبدوليو وزيزينهو، تقابلا وهما يمسيان.

تقابلا، تبادلا النظرات.

كانا مختلفين جداً. أوبدوليو المنتصر كان حديداً. وزيزينهو الخاسر

كان مصنوعاً من موسيقى. ولكنهما كانا متشابهين جداً كذلك. كلاهما لعب وهو مصاب طيلة البطولة تقريباً، أحدهما كاحله متورم، والآخر ركبته منتفخة، ولم تُسمع من أي منهما أية شكوى. في نهاية المباراة، لم يعرفا إن كان عليهما أن يتبادلا لكلمات أم عناقاً. بعد سنوات من ذلك، سألت أوبدوليو:

– هل ترى زيزييهنو؟

– أجل، أراه بين حين وآخر. نغمض أعيننا ويرى أحدنا الآخر.

17 تموز

يوم العدالة

قالت الملكة:

– لديك هناك مراسل الملك. إنه سجين الآن، وهو يُعاقب. محاكمته لن تبدأ قبل يوم الأربعاء القادم. وسيُتُعرفُ جريمته في النهاية طبعاً.

– وماذا لو لم يُتُعرفُ الجريمة أبداً؟ – سألتها أليس.

(من أليس عبر المرأة، الجزء الثاني من أليس في بلاد العجائب، للويس كارول، 1872)

18 تموز

التاريخ لعبة نرد

مئة وعشرون عاماً استغرق بناء معبد الربة أرتميس في افسس وعرف المعبدُ كيف يكون أحد عجائب الدنيا.

المعبد تحول إلى رماد في ليلة واحدة من العام 356 قبل الميلاد.
لا أحد يعرف من الذي أبدعه. أما اسم القاتل بالمقابل فمازال
يدوي. إنه اروستاتو، الحارق الذي أراد أن يدخل التاريخ، وقد دخله.

19 تموز

السائح الأول على شواطئ

ريو دي جانييرو

الأمير جواو البرتغالي، ابن الملكة ماريا، زار شاطئ ميناء ريو دي
جانييرو، بنصيحة طبية، عام 1810.

تخبط العاهل، في الماء وهو بحذائه ومحشور في برميل. فقد كان
يعاني رعباً من السرطانات ومن الأمواج.

مثاله الجريء لم يُقلد. فشواطئ ريو كانت مزيلة قذرة، حيث يُفرغ
العبيد، في الليل، فضلات أسيادهم.

في ما بعد، عندما ولد القرن العشرون، صار بإمكان المياه أن توفر
حمامات بحر أفضل بكثير، ولكن أجل: كان هناك فاصل جيد بين
السيدات والسادة، مثلما تتطلبه قواعد الحشمة.

وكان لا بد من ارتداء الملابس للذهاب إلى الشاطئ. ففي السواحل
التي صارت اليوم جغرافية للتعري، كان الرجال يدخلون إلى الماء
متستريين إلى ما تحت الركبتين، والسيدات يخفين أجسادهن الشاحبة
من الرأس حتى القدمين، خوفاً من أن تحولهن الشمس إلى سمراوات.

20 تموز

المندسة

في العام 1951، تسببت صورة نُشرت في مجلة لايف بضجة في الأوساط المتنورة في نيويورك.

فلمرة الأولى يظهر صفوة رسامي الطبيعة الفنية في المدينة مجتمعين: مارك روثكو، جاكسون بولوك، وليم كونينغ وأحد عشر معلماً آخر من معلمي التعبيرية التجريدية.

جميعهم رجال، ولكن تظهر في الصف الخلفي امرأة مجهولة، بمعطف أسود، وقبعة وحقيبة يد.

المصورون لم يخفوا استياءهم حيال ذلك الحضور المضحك.

حاول البعض، دون جدوى، أن يعتذر لوجود المندسة، وامتدحها بالقول:

- إنها ترسم مثل الرجال.

اسمها هيدا ستيرن.

21 تموز

رائد الفضاء الأخير

في هذا اليوم من العام 1969، خصصت صحف العالم قاطبة صفحتها الأولى لصورة القرن: رائد الفضاء مشى على القمر، بخطوات دب، وخلف عليه أول آثار بشرية.

ولكن بطل المأثرة الرئيسي لم يتلق التهنئة التي يستحقها.

فيرنر فون براون هو من اخترع وأطلق تلك المركبة الفضائية.

قبل أن ينطلق في غزو الفضاء لحساب الولايات المتحدة، كان فون

براون قد دفع قُدماً عملية غزو أوروبا لحساب ألمانيا.
هذا المهندس والضابط في الـ SS، كان العالم المفضل لدى هتلر.
ولكنه في اليوم التالي لانتهاء الحرب، عرف كيف يقوم بقفزة
عجيبة وسقط واقفاً على الضفة الأخرى للبحر المحيط
وفي الحال تحول إلى وطني في وطنه الجديد، وصار مؤمناً من أتباع
طائفة أنجليكانية في تكساس، وبدأ العمل في المختبر الفضائي.

22 تموز

القمر الآخر

لم يكن رواد الفضاء هم أول من وصلوا.
فقبل ألف وثمانمائة عام، كان لوشيانو دي ساموساتا قد زار القمر.
لم يره أحد، ولم يصدقه أحد. ولكنه كتب ذلك باللغة الإغريقية.
فهناك في العام 150، انطلق لوشيانو وبهارته سبشرين انطلاقاً من
أعمدة هرقل التي كانت موجودة حيث يوجد الآن مضيق جبل طارق،
فحملت عاصفة السفينة وصعدت إلى السماء وألقت بهم على القمر.
في القمر، لا أحد يموت. المسنون الهرمون جداً يذوبون في الهواء.
والقمريون يأكلون دخاناً ويتعرقون حليباً. الأثرياء يرتدون ملابس من
بلور، والفقراء لا يرتدون أية ملابس. للأثرياء عيون كثيرة، وللفقراء عين
واحدة أو بلا أي عين.
والقمريون يرون، في مرآة، كل ما يفعله الأرضيون. وطيلة الوقت
الذي استمرته الزيارة، تلقى لوشيانو وبهارته أخباراً أثينا كلها يوماً بعد
يوم:

23 تموز

توائم

في العام 1944، في فردوس بریتون وودز السياحي، تأكد الحَبَل بأخوين توأمين تحتاج إليهما الإنسانية.
أحدهما سيُسمى صندوق النقد الدولي والآخر البنك الدولي.
وكلاهما، مثل رومولو وريمو، أرضعته ذئبة، وفي مدينة واشنطن، على مقربة من البيت الأبيض، وجدا مقرأً لإقامتهما،
منذ ذلك الحين وهما يحكمان حكومات العالم. وفي بلدان لم يُصَوَّت لهما أحد فيها، يفرض التوأمين واجب الطاعة كحتمية من القدر:
يراقبان، يهددان، يعاقبان، يُجربان اختبارات:
- هل أحسنت السلوك؟ هل قمت بواجباتك؟

24 تموز

ملعونة الخطايا

باللغة الآرامية التي كان يتكلمها يسوع وحواريوه، الكلمة نفسها تعني ديون وتعني خطايا.
بعد ألفيتين من ذلك، صارت ديون الفقراء هي الخطايا التي تستحق أشد العقوبات. الملكية الخاصة تعاقب المحرومين من الملكية.

25 تموز

وصفة من أجل نشر الطاعون

في القرن الرابع عشر، أعلن المتعصبون حراس الإيمان الكاثوليكي

الحرب على القُطط في المدن الأوروبية.
القُطط حيوانات شيطانية، أدوات إبليس، صارت تُصلب، تُرفع
على خوازيق، تُسلخ حية أو يُلقى بها إلى النار.
عندئذ تحولت الفئران، وقد تحررت من أسوأ أعدائها، إلى سيدة
المدن. والوباء الأسود الذي نشرته الفئران قتل ثلاثين مليون أوروبي.

26 تموز

تُمطر قُططاً

في جزيرة بورنيو الكبرى، كانت القُطط تأكل السحالي التي تأكل
الصراصير، والصراصير تأكل الزنابير التي تأكل بدورها البعوض.
لم يكن الدي. دي. تي وارداً في قائمة الطعام.
في أواسط القرن العشرين. قصفت منظمة الصحة العالمية الجزيرة
بشحنات مكثفة من الدي دي تي من أجل مكافحة البعوض، فقضت
على البعوض وعلى كل شيء.
حين علمت الفئران أن القُطط قد ماتت مسممة أيضاً، غزت
الجزيرة، والتهمت ثمار الحقول ونشرت التيفوس وكوارث أخرى.
وحيال هجوم الفئران غير المتوقع، جمع خبراء منظمة الصحة
العالمية لجنة الأزمة وقرروا إرسال قُطط تُلقى بمظلات.
في هذه الأيام من عام 1960، ظهرت عشرات الهرة في سماء بورنيو.
حطت القُطط بنعومة وسط تصفيق حماسي من البشر الذين تجاوزوا
المساعدة الإنسانية أحياء.

27 تموز

قاطرة براغ

في هذا اليوم انتهت في هلسنكي دورة الألعاب عام 1952. إيميل زاتوبك، عداء لا يُجارى، له قوة وسرعة قاطرة، كسب ثلاث ميداليات ذهبية. أعتُبر في بلاده بطلاً قومياً ومُنح رتبة كولونيل في الجيش التشيكوسلوفاكي. بعد سنوات من ذلك، في العام 1968، أيد زاتوبك الانتفاضة الشعبية وعارض التدخل السوفيتي. فتحول الكولونيل إلى كناس شوارع.

28 تموز

وصية

في العام 1890، في رسالة إلى أخيه ثيو، كتب فينسنن فان غوخ: *فلتكن لوحاتي هي التي تتكلم. قتل نفسه في اليوم التالي. ومازالت لوحاته تتكلم.*

29 تموز

نريد زمناً آخر

على امتداد ثلاثة أيام، عام 1830، ستة آلاف متراس حوّلت مدينة باريس إلى ميدان معركة، وهزمت جنود الملك.

وعندما صار هذا اليوم ليلاً، هشمت الجموع الساعات بالحجارة والرصاص: الساعات الكبيرة التي على الكنائس وعلى معابد أخرى للسلطة.

30 تموز

يوم الصداقة

حسب ما كان يقوله كارلوس فوينتس آمادور، الصديق هو من ينتقدك مواجهة ويمدحك في غيابك.
وحسب ما تقوله التجربة، الصديق الحقيقي هو الصديق في الفصول الأربعة. أما الآخرون فهم أصدقاء صيف، لا أكثر.

31 تموز

الزمن الموعود

في الزمن القديم، حدث تمرد الأشياء.
وحسب ما يعرفه أبناء المايا، قبل الماقبل، انتفضت أدوات المطبخ المهانة: قدور محروقة، وهواوين هرس خربة، وسكاكين مثلثة، وجفنات مكسورة؛ وقد رافق الآلهة تمرد الأشياء ذاك.
بعد زمن طويل من ذلك، في مزارع يوكاتان، قام العبيد المايا الذين يُعاملون كالأشياء بالتمرد على أسيادهم الذين يأمرونهم بضربات السياط على ظهورهم، لأنهم يقولون إن آذانهم في ظهورهم.
في هذه الليلة من عام 1847 اندلعت الحرب. وخلال نصف قرن، احتل العبيد المزارع وأحرقوا وثائق تشريع عبوديتهم وعبودية أبنائهم وعبودية أبناء أبنائهم.

آب / أغسطس

1 آب

أمننا التي في الأرض

في قرى منطقة الأنديز، تحتفل الأرض الأم، الباتشاماما، بعيدها الكبير في هذا اليوم.

يغني أبناؤها ويرقصون في هذا اليوم الذي لا ينتهي، ويقدمون إلى الأرض لقيمات من لذائذ كل مأكولاتهم التي يُحضّرونها من الذرة، ورشفة من المشروبات القوية التي تضحهم بالسعادة.

وأخيراً يطلبون منها العذرة عن كثرة الأذى، عن الأراضي المنهوبة، الأراضي المسعمة، ويتوسلون إليها ألا تعاقبهم بزلزل، أو جليد، أو جفاف، أو فيضانات، أو غضبات أخرى.

هذا هو أقدم إيمان في كافة أنحاء أمريكا.

وهكذا يُحْيِي أهمهم الأرض، في تشياباس، أبناء المايا التوخولابال:

انتِ تمنحيننا الفاصوليا،

وكم هي اللينة

مع الفلفل، وفي العجة.

ذرة تمنحيننا، وبتاً جيداً.

يا أمننا الحبيبة،

احفظينا جيداً، جيداً.

وعسى إلا يخطر لنا أبداً
أن نبهت.

وهي لا تسكن في السماء. إنها تعيش في أعماق العالم، وهناك
تنتظرنا: الأرض التي تمنحنا الأكل هي الأرض التي ستأكلنا.

2 أب

بطل

في هذا اليوم من عام 1980 فقد الملاك الكولومبي كيد بامبيلي تاجه
العالمي بضربة قاضية على الحلبة.
لقد ولد في بالينكي، ذلك الملجأ القديم للعبيد المتعمرين؛ وقبل أن
يصير بطل العالم عمل في بيع الصحف، ومسح الأحذية، وكان يلاكم،
مقابل الطعام، في قرى منسية على الخريطة.
ثمانية أعوام استمر المجد. أكثر من مئة مباراة، لم يُهزم إلا في اثنتي
عشرة منها.
وانتهى به الأمر إلى توجيه لكمات إلى ظله على الجدار.

3 أب

المحبون

بدأت هذه القصة عندما حسدت الآلهة العاطفة البشرية، وعاقبت
النساجة زين نو وحبيبها الذي نُسي اسمه. قطعت الآلهة عليهما العناق
الذي يجعل من الاثنين واحداً، وحكمت عليهما بالوحدة. منذ ذلك

الحين يعيشان منفصلين بدرب التبانة، النهر السماوي العظيم الذي يحول دون مرورهما.

ولكن مرة في السنة، وخلال ليلة واحدة فقط، الليلة السابعة من القمر السابع، يمكن للمنفصلين أن يلتقيا.

طيور العقق تساعد. فبجمع أجنحتها تمد جسراً في ليلة اللقاء. النساجات، والمطرزات، والخياطات في كل أنحاء الصين يتوسلن ألا يهطل المطر.

إذا لم يهطل المطر، تقطع زين نو الطريق. الثياب التي ترتديها، والتي ستخلعها قريباً، هي عملُ بارع من صنع يديها. أما إذا هطل المطر، فلا تجيء طيور العقق، ولا يكون هناك جسر يلمُ شمل المنفصلين ولا تكون هناك حفلة على الأرض تحتفي بغفون الحب والإبرة.

4 آب

ثياب تروي القصة

قبل نحو ألفي عام، دُمرت مدينةُ شعبِ مياو الكبرى. وحسب ما تكشف عنه مخطوطات صينية قديمة، كانت هناك، في السهل الفسيح بين النهر الأصفر ونهر يانغتسي، مدينة يعيش فيها أناس لهم أجنحة ويسمون مياو.

يوجد حوالي عشرة ملايين مياو في الصين الحالية. يتكلمون لغة لم تكن لها كتابة قط، ولكنهم يرتدون ملابس تروي عظمتهم الضائعة. بخيوط حرير ينسجون قصة أصولهم وشتاتهم، ولاداتهم وجنائزهم،

حروب الآلهة والبشر، وكذلك قصة المدينة الهائلة التي لم يعد لها وجود.

- إنفا نلبس مدينتنا - يشرح أحد الشيوخ الأكثر هرمًا - البوابة في القلنسوة. الشوارع تذرع العبادة كلها، وعلى الأكتاف تُزدهر بساتيفنا.

5 آب

الكاذب الذي ولد ثلاث مرات

في العام 1881، حين لم يكن قد مضى أكثر من شهرين على وجوده في الحياة، كان بينوكيو قد تحول إلى معبود الطفولة الإيطالية. الكتاب الذي يروي مغامراته كان يباع كما لو أنه كاراميلًا. بينوكيو أبدعه النجار جيبييتو الذي أبدع بدوره على يد الكاتب كارلو كولودي. ما كاد جيبييتو يصنع له يديه، وهما يدان من خشب الصنوبر، حتى طوّح بينوكيو الدمية بباروكة النجار كاشفًا عن رأسه الأصلع. وما كاد يصنع له ساقيه حتى هرب راكضًا وشكاه للشرطة. كان الكاتب كولودي قد ملّ من إخفاقات ذلك السفيفه الذي لا يطاق حين قرر شنقه وتركه معلقًا على غصن شجرة سنديان. ولكنه لم يجد، بعد قليل، مفرًا من إعادته إلى الحياة بعد أن أجبره على ذلك جميع أطفال إيطاليا. فكانت تلك هي ولادته الثانية. أما الولادة الثالثة فتأخرت سنوات. في العام 1940، عمده والته ديزني في هوليوود. هاجر بينوكيو من هلام غسل ودموع مجمد وعاد إلى الحياة وقد صار طبيبًا بمعجزة.

قنبلة الرب

في العام 1945، بينما كان هذا اليوم يولد، ماتت هيروشيما. في التدشين العالمي للقنبلة الذرية، تحوّلت المدينة وسكانها إلى فحم في لحظة واحدة.

الناجون القليلون كانوا يهيمون على وجوههم مبتوري الأطراف، مسرّمين، بين الأنقاض التي يتصاعد منها الدخان. يمضون عراة وعلى أجسادهم حروق ختمتها الملابس التي كانوا يرتدونها لحظة الانفجار. وعلى بقايا الجدران، خلف وميض القنبلة الذرية ظلالاً مطبوعة لما كان هناك: امرأة بذراعين مرفوعين، رجل، حصان مربوط..

بعد ثلاثة أيام، تحدث الرئيس هاري ترومان عبر الإذاعة. قال:

– نشكر الرب لأنه وضع القنبلة في أيدينا وليس في أيدي أعدائنا؛ ونتضرع إليه ألا يوجهنا في استخدامها إلا وفقاً لدروبه وغاياته.

تجسس علي

في 1876 ولدت ماتا هاري. أسيرةٌ وثيرة كانت ميادين معاركها في الحرب العالمية الأولى. وقادة عسكريون وسياسيون كبار استسلموا لفتنة أسلحتها، واعترفوا لها بأسرارٍ كانت تبيعها لفرنسا، أو ألمانيا أو من يدفع أكثر.

في 1917، حُكِمَ عليها بالإعدام. أكثر جاسوسة مشتهرة في العالم أرسلت قُبَلات وداع لفصيلة الإعدام رمياً بالرصاص. ثمانية من الجنود الأحد عشر أخطؤوا في إصابة الهدف.

8 اب

ملعونة أمريكا

في هذا اليوم، عام 1553، مات الطبيب والكاتب الإيطالي جيرولامو فراكاستورو.

السفلس هو أحد الأمراض المعدية التي أجرى فراكاستورو بحوثاً حولها، وقد توصل إلى نتيجة أن هذا المرض الأوروبي لم يأت من هنود أمريكا.

في أيامنا هذه، فنّد مواكير سكليار أيضاً، وهو برازيلي، وزميل لفراكاستورو في العلوم والآداب، وكذّب أصل اللعنة الأمريكية المزعوم: منذ ما قبل غزو العالم الجديد كان الفرنسيون يطلقون على السفلس تسمية *الداء الإيطالي*، بينما يسميه الإيطاليون *الداء الفرنسي*.

الهولنديون والبرتغاليون كانوا يسمونه *المرض الإسباني*. وكان مرضاً *برتغالياً* عند اليابانيين، و*المرض الألماني* عند البولونيين، و*المرض البولوني* عند الروس. والفُرس كانوا يرون أنه طاعون الأتراك.

يوم السكان الأصليين

ولدت ريغوبيرتا مينتشو في غواتيمالا بعد أربعة قرون ونصف القرن من غزو بيدرو دي ألفارادو، وبعد خمس سنوات من غزو دوايت إيزنهاور لموطنها.

في العام 1982، عندما دمر الجيش جبال المايا، أبيدت أسرة ريغوبيرتا عن بكرة أبيها تقريباً، ومُحيت عن الخريطة القرية التي دُفنت فيها سرّتها كي تضرب جذورها في الأرض.

بعد عشر سنوات من ذلك تلقت جائزة نوبل للسلام وصرحت:

– أتلقى هذه الجائزة كتكريم لشعب المايا، على الرغم من أنها تأتي متأخرة خمسمئة عام.

المايا شعب صبور. لقد استطاع أن يتجاوز حياً خمسة قرون من المجازر.

إنهم يعرفون أن الزمن، مثل العنكبوت، ينسج ببطء.

مانويلات

جميعهم رجال. ولكن امرأة، مانويلا كانيثاريس، هي من كانت تجندهم وتجمعهم للتآمر في بيتها.

في ليلة التاسع من آب 1809، أمضى الرجال ساعاتٍ وساعات وهم يتجادلون، هذا نعم، وذاك لا، وذاك من يدري، ولم يحسموا أمر الإعلان عن استقلال الإكوادور. وكانوا يؤجلون الموضوع مرة أخرى، ريثما تتوافر ظروف أفضل، عندما واجهتهم مانويلا وصرخت بهم:

جبنا، رعديون، ولستم للعبودية. وفي صباح هذا اليوم، فتحتُ البابَ للزمن الجديد.

مانويلا أخرى، مانويلا إسبيخو، وهي من رائدات استقلال أمريكا أيضاً، كانت أول صحفية في الإكوادور. ولأن هذه المهنة ليست مناسبة للنساء، فقد كانت تنشر بأسماء مستعارة مقالاتها الجريئة ضد عقلية الخنوع التي تهين بلادها.

ومانويلا أخرى، مانويلا ساينث، اكتسبت شهرة أبدية لأنها كانت عشيقة سيمون بوليفار، ولكنها كانت هي نفسها فوق ذلك: امرأة ناضلت السلطة الاستعمارية والسلطة الذكورية ونفاقها.

11 آب

أسرة

مثلاً هو معروف في أفريقيا السوداء وفي أمريكا السكان الأصليين:
قبيلتك هي قرينتك كلها، بكل أحيائها وموتاتها.
وأقرباؤك لا ينتهون عند حدود البشر.
فأسرتك تتحدثُ إليك أيضاً في فرقة النار،
وفي صخب الماء المندفع،
وفي تنفس الغابة،
وفي أصوات الرياح،
وفي غضب الرعد،
وفي المطر الذي يُقبلك،
وفي غناء الطيور التي تحيي مرورك.

رياضيون ورياضيات

في 1928 انتهت دورة الألعاب الأولمبية في أمستردام. طرازان، الشهير باسم جوني ويسميلير كان بطل السباحة، وأحرزت أروغواي حينذاك بطولة كرة القدم. وأشعلت لأول مرة الشعلة الأولمبية، وظلت مشتعلة فوق برج لتراقف الألعاب من البداية حتى النهاية. ولكن تلك الألعاب كانت تاريخية لأمر مستجد آخر: إنها أول ألعاب أولمبية تشارك فيها النساء. ففي تاريخ الأولمبيادات كلها، منذ الإغريق وكل من تلاهم، لم يُر مثل ذلك قط في الأولمبيادات الإغريقية كان محظوراً على النساء المشاركة، بل لم يكن بإمكانهن حضور العروض. ومؤسس الأولمبيادات الحديثة، البارون كوبرتين، عارض الحضور الأنثوي فيها طوال فترة ملكه:

– للنساء الظرافة والبيت والأطفال. وللرجال المنافسات الرياضية.

الحق في الشجاعة

في العام 1816 منحت حكومة بوينس آيرس رتبة كولونيل لخوانا أتوردوي، اعترافاً بجهدتها الرجولي. فهي من قادت، في حرب الاستقلال، المحاربين الذين انتزعوا جبل بوتوسي من أيدي الإسبان.

كان محظوراً على النساء التدخل في شؤون الحرب، ولكن الضباط الذكور لم يجدوا مفرّاً من تقبل شجاعة تلك المرأة الرجولة. وبين كثير من العَدُوّ على الخيول، وبعد أن قتلت الحرب زوجها وخمسة من أبنائها، ماتت خوانا أيضاً. ماتت في الفقر، فقيرة بين الفقراء، وألقي بها إلى قبر جماعي. بعد قرابة قرنين من ذلك، قامت الحكومة الأرجنتينية، برئاسة امرأة، بترقيتها إلى رتبة جنرالة في الجيش، تكريماً لشجاعته النسوية.

14 آب

المهوس بالبعوض

في 1881 كشف الطبيب الكوبي كارلوس فينلاي أن الحمى الصفراء، والتي تُسمى أيضاً القيء الأسود، تنتقل عن طريق نوع معين من البعوض الأنثى. وقد في الوقت نفسه اللقاح الذي يمكنه القضاء على ذلك الوباء.

كارلوس المعروف في الجوار بلقب المهوس بالبعوض، شرح اكتشافه أمام أكاديمية العلوم الطبية والفيزيائية والطبيعية في هافانا. عشرون عاماً تأخر العالم للاهتمام بالأمر. خلال تلك السنوات العشرين، بينما كان علماء مشهورون من أمكنة مشهورة يتابعون آثاراً زائفة، واصلت الحمى الصفراء قتل البشر.

الدرة والتاج

كان وينستون تشرشل قد أعلن:

– من المثير للقلق والاشمئزاز رؤية هذا السيد غاندي، هذا الخبيث المتعصب الهدام... الحقيقة أنه سيكون علينا، عاجلاً أو آجلاً، أن نواجهه، هو وكل من يدعمونه، وأن نِسحقهم في نهاية المطاف. فلا فائدة من تهدئة الثمر بإعطائه طعام هر، وليست لدينا أدنى نية في التخلي عن أئمن درة لامعة في تاجنا، في مجد وسلطة الإمبراطورية البريطانية.

ولكن الدرة غادرت التاج بعد سنوات. ففي هذا اليوم من عام 1947، حققت الهند استقلالها.

الطريق الشاق نحو الحرية بدأ شقه في العام 1930، حين وصل المهاتما غاندي، نحيلاً وشبه عار، إلى شاطئ على المحيط الهندي. كانت تلك هي مسيرة الملح. كانوا قلة قليلة عند بدء انطلاق المسيرة، ولكن حشوداً كبيرة وصلت إلى نقطة النهاية. وتناول كل منهم حفنة ملح وحملها إلى فمه، وهكذا خرق كل واحد منهم القانون البريطاني الذي يحظر على الهنود استهلاك ملح بلادهم.

البذور الانتحارية

منذ حوالي ثلاثمئة وستين مليون عام والنباتات تُنتج بذوراً مخصبة تُؤَلد نباتات جديدة وبذوراً جديدة، ولم تتقاض قط أي ثمن مقابل هذه الخدمة التي تقدّمها.

ولكن في العام 1998، مُنحت شركة دلتا آند باين براءة إنتاج وبيع بذور عاقرة، تُجبر المزارع على شراء بذور جديدة لكل موسم. في منتصف شهر آب من عام 2006 استحوذت شركة مونسانتو، ذات الاسم المقدس، على شركة دلتا آند باين، وعلى براءة الاختراع أيضاً.

وهكذا عززت مونسانتو سلطتها الكونية: البذور العاقرة التي تسمى بنوراً انتحارية تشكل التجارة بالغة الربحية ذلك أنها تفرض أيضاً شراء مبيد الأعشاب، ومضادات الأوبئة وسموم أخرى من شركة المحسنات الجينية نفسها.

في أعياد الفصح لعام 2010، بعد قليل من الزلزال، تلقت هايتي هدية عظيمة من شركة مونسانتو: ستون ألف كيس بذور من إنتاج الصناعات الكيميائية. اجتمع الفلاحون لتسلم الهبة، وأحرقوا تلك الأكياس كلها في محرقة هائلة.

17 آب

امرأة خطيرة

في العام 1893 ولدت ماي وست، لحمُ سمكٍ، ساصةُ دماءٍ شرهة. في 1927 ذهبَتْ إلى السجن، مع كل فرقتها المسرحية، لأنها عرضت دعوة إلى المتعة، تحت العنوان الخبيث «جنس»، في مسرحها ببرودوي.

وعندما أنهت التكفير عن جريمة بذاعتها العامة، قررت الانتقال من برودوي إلى هوليوود، من المسرح إلى السينما، معتقدة أنها وصلت بذلك إلى مملكة الحرية.

ولكن حكومة الولايات المتحدة فرضت على هوليوود شهادة سلامة

أخلاقية: كان لا بد منها طوال ثمانين و ثلاثين عاماً من أجل السماح بعرض أي فيلم.

لقد حظر قانون هايز العري، ورقصات الإحياء الجنسي، والقبلات الشهوانية، وزنا المحارم، والشذوذ الجنسي، وغيرها من الانحرافات الفاسدة التي تتعرض لقدسية الحياة الزوجية. حتى إن أفلام طرازان لم تنج من تلك الرقابة، وكان على بيتي بوب أن ترتدي تنانير طويلة. واستمر تورط ماي وست في المشاكل.

18 آب

شبكة الشبكات

في هذه الأيام من عام 1969، أطلقت جماعة من العلماء مشروعاً جديداً للقوات المسلحة في الولايات المتحدة: سيتم خلق شبكة شبكات لتوصيل وتنسيق عمليات عسكرية على مستوى لم يسبق له مثيل. في الحرب من أجل السيطرة على الأرض والسّماء، تبين أن ذلك الاختراع، ولم يكن يسمى انترنت بعد، هو انتصار للولايات المتحدة على القوة العظمى المنافسة التي كانت لا تزال تسمى الاتحاد السوفييتي.

مع مرور الوقت، وبصورة غريبة، قدّمت تلك الوسيلة الحربية، ومازالت تقدم، خدمة لأصوات كثيرة داعية للسلام، وهي أصوات كانت ترن في ما مضى في ناقوس خشبي.

الحرب على الرقعة

في العام 1575 جرت أول معركة مهمة في تاريخ الشطرنج. الفائز، ويدعى ليوناردو دي كوتري، تلقى جائزة هي مئة دوقية، وعباءة من فرو قاقم ورسالة تهنئة من الملك الإسباني فيليبي الثاني. الخاسر، ويدعى روي لوبيث دي سيفورا، كان قد ألف الكتاب الذي أسس لفن معركة الأحجار السوداء ضد البيضاء على ميدان الرقعة المربعة. وفي هذا الكتاب ينصح المؤلف، وقد كان رجلاً دينياً، بطوباوية: - حين تجلس لتلعب، إذا كان النهار مضيئاً واللعب تحت الشمس، حاول أن تكون الشمس في وجه الخصم، لأنها تبهر بصره. وإذا كان ظلام، واللعب يجري بالاستعانة بضوء، حاول أن يكون مصدر الضوء جهة يده اليمنى، لأن ذلك يشوش نظره، ولأن اليد اليمنى التي تتحرك فوق الرقعة تشكل ظلاً، وهكذا لا يرى جيداً أين يحرك الأحجار.

اليد العاملة السماوية

في الأدغال الإكوادورية، تنتصب كنيسة ليكتو. حصن الإيمان ذاك شُيد بأحجار عملاقة، حين بدأت ولادة القرن العشرين.

بما أنه لم تكن هنالك عبودية، أو هذا ما كان يقوله القانون، فقد أنجز العمل هنوداً أحراراً: حملوا الأحجار على ظهورهم، من محجر

بعيد، على بُعد عدة فراسخ من هناك، وفارق عدد منهم الحياة على الطريق ذي الوهاد العميقة والدروب الوعرة الضيقة.

كان الكهنة يُسْعِرُونَ خلاص الخاطئين بأحجار. فكل تعמיד يُدفع مقابله عشرون كتلة حجرية، ويُدفع خمسة وعشرون حجراً لكلفة الزفاف. وخمسة أحجار كلفة الدفن. فإذا لم تدفع الأسرة، لا يُدخل الميت إلى المقبرة: يدفن في أرض خبيثة، ومن هناك يمضي مباشرة إلى الجحيم.

21 اب

تقسيم العمل

أُجريت في جامعة ستانفورد تجربة كاشفة حول الإنسان وعمله. جُنِدَ العلماء النفسانيون بعض الطلاب البيض، جيدي التعليم، وجيدي السلوك، وجيدي الصحة البدنية والذهنية. إلقاء قطعة عملة معدنية في الهواء هو الذي حدّد من سيكون سَجَاناً ومن سيكون سجيناً في سجن تخيُّلي أقيم في أقبية الجامعة. السجناء عزل، وهم أرقام بلا أسماء. والسجانون أسماء بلا أرقام، ويحملون هراوى.

بدا الأمر لعبة، ولكن منذ اليوم الأول بدأ من يقومون بدور السجنانيين يشعرون بالمتعة. فالإذن بالذهاب إلى الحمام لا يُمنح إلا بعد كثير من التوسل، والسجناء ينامون عراة على الأرض الإسمنتية، ويدفعون ثمن وقاحة التكلم بصوت عالٍ بزجهم في زنازين العقاب، دون طعام أو شراب.

ضربٌ، شتمٌ، إذلال. لم تستمر التجربة إلا قليلاً. ليس أكثر من أسبوع. في هذا اليوم من عام 1971، اعتبرت منتهية.

أفضل يد عاملة

الأسقف الفرنسي جان باتيست لابات ينصح في أحد كتبه المنشور عام 1742:

الأطفال الأفارقة بين العاشرة والخامسة عشرة من العمر هم أفضل العبيد الذين يمكن أخذهم إلى أمريكا. إذ تتوافر الفرصة لتربيتهم بأحسن طريقة مناسبة لأسيادهم. والأطفال ينسون بسهولة أكبر مسقط رأسهم والرنائل السائدة هناك، ويحبون مالكيهم ويكونون أقل ميلاً إلى التمرد من الزوج الكبار.

هذا المبشر الرحيم يعرف جيداً ما الذي يقوله. ففي الجزر الفرنسية في البحر الكاريبي، كان الأب لابات يقوم بالتعميد، وتقديم خبز القران، ويتلقى الاعترافات، وبين قداس وقداس يراقب ممتلكاته، فقد كان مالكا لأراضٍ وعبيد.

الوطن المستحيل

في العام 1791 أرسل سيد آخر، مالك أراضٍ وعبيد، رسالة من هايتي.

يقول في الرسالة:

– الزوج مطيعون جداً، وسيظلون هكذا يوماً.

كانت الرسالة تبخر باتجاه باريس عندما حدث المستحيل: في ليلة 22 – 23 آب، ليلة عاصفة، اندلع أكبر تمرد عبيد في تاريخ الإنسانية

انطلاقاً من أعماق الغابات الهايتية. وأولئك الزوج الطيعون جداً أذلوا جيش نابليون بونابرت الذي غزا أوروبا من مدريد حتى موسكو.

24 ب

كان يوم إله النار الروماني

وكان العام 79.

بلينيو العجوز يُبحر على رأس أسطول روماني.

لدى دخوله إلى خليج نابولي، رأى دخاناً أسود يتعاضم من بركان فيزوف، ثم رأى شجرة ضخمة تفتح فروعها نحو السماء، وفجأة خيم الليل في أوج النهار. اهتز العالم في ارتجاجات عنيفة، ودقنَ وابلُ أحجار نارية مدينة بومباي الاحتفالية.

قبل سنوات قليلة من ذلك، كانت النيران قد دمرت مدينة لوغدونوم، وقد كتب سينيكا:

ليلة واحدة كانت تفصل بين المدينة العظيمة والعدم.

لوغدونوم انبعثت من جديد، وهي تسمى اليوم ليون. أما بومباي فلم تختف من الوجود: إنها سليمة تحت الرماد. هكذا حفظها البركان الذي قتلها.

25 ب

إنقاذ المدينة الأسيرة

في فجر هذا اليوم من عام 1944، أصاب باريس الجنون. لقد انتهى الاحتلال النازي.

كانت أولى الدبابات والعربات المصفحة قد دخلت قبل ساعات من ذلك :

- هل هم أمريكيون؟ - تساءل الناس.

ولكن أسماء تلك الدبابات وتلك المصفحات المكتوبة دون إتقان بطلاء أبيض، تقول: غوادالاخارا، إيبرو، تيرويل، برونيقي، مدريد، نون كيوخوته، نوروتي...

أول محرري باريس كانوا من الجمهوريين الإسبان. المهزومون في موطنهم قاتلوا من أجل فرنسا. ظنوا أنه سيتم إنقاذ إسبانيا بعد ذلك. وكانوا مخطئين.

26 ب

نقاء الإيمان

إيفان الرهيب ولد في العام 1530.

ولكي يربي الشعب على الإيمان المسيحي، أقام في موسكو معبد القديس باسيل الضخم الذي مازال الرمز الجميل للمدينة. ولكي يؤيد سلطته المسيحية أرسل إلى الجحيم بعض الخاطئين من خصومه وأقربائه : ألقى إلى الكلاب بالأمير أندريه والأسقف ليونيد. شوى الأمير بيوتر حياً.

مزق بضربات فأس الأمراء ألكسندر، وريبنين، وسنويون، ونيكولاي، وديمتري، وتيليبنيف، ونيوتين. أغرق في النهر ابن عمه فلاديمير، وزوجة أخيه ألكسندرا وعمته أودوكسيا.

وسم خمساً من زوجاته السبع.

وبضربات عكازه قتل ابنه المفضل الذي كان يحمل اسمه، لأنه يشبهه كثيراً.

27 آب

نقاء العرق

في 1924 أملى أدولف هتلر، في السجن، كتابه كفاحي. وفي يوم مثل هذا اليوم، نقل إلى مُدُونِهِ تعاليمه الأساسية حول تاريخ الإنسانية: جميع ثقافات الماضي العظيمة اندثرت فقط لأن السلالة المبدعة الأصلية قد ماتت بفعل تسمم الدم.

أربعة عشر عاماً بعد ذلك، أعلن بنيتو موسولوني في كتابه بيان عن العرق:

الطابع البدني والنفسي الأوروبي النقي للإيطاليين يجب ألا يتبدل بأي طريقة. لقد حان الوقت لأن يعلن الإيطاليون عنصريتهم بكل صراحة.

28 آب

«الذي حلم»

في هذا اليوم من عام 1963، وأمام حشد هائل يملأ شوارع واشنطن، دوى صوت القس مارتن لوثر كينغ عالياً:

– أحلمُ بيوم لا يُحاكم فيه أبنائي بسبب لون بشرتهم، أحلم بيوم ينتصب فيه كل سهل وينكمش فيه كل جبل....

حينئذ أصدر مكتب التحقيقات الفيدرالي قراره بأن كينع هو
الزنجي الأشد خطورة على مستقبل هذه الأمة ، ولاحق العديد من
الجواسيس أيامه ولياليه خطوة خطوة.

ولكنه واصل التنديد بالإذلال العرقي وبحرب فيتنام التي حوّلت
الزنج إلى لحم للمدافع ، وكان يقول دون تردد إن بلاده هي أكبر مُصدر
للعنف في العالم.

في العام 1968 هُشمت رصاصةً وجهه.

29 آب

رجل ملون

أخي العزيز الأبيض

عند مولدي، كنتُ أسود.

عندما كب

رثُ، كنتُ أسود.

عندما تلفحتني الشمس، اظلُ أسود.

عندما امرضُ، اظلُ أسود.

وعندما اموت، ساكون أسود.

أما أنت بالمقابل،

عندما وُلدت، كنتُ وردياً.

وعندما كبرت، كنتُ أبيض.

وعندما تلفحتك الشمس، تصيرُ أحمر.

وعندما تشعر بالبرد، تكونُ أزرق.

وعندما تظاف، تصير أخضر.
وعندما تمرض، تكون أصفر.
وحين تموت، ستصبح رمادياً.
من هو منا إذا الأكثر تلوثاً؟

(من ليونولد سيدنغور، شاعر سنغالي)

30 اغسطس

يوم المختفين المفيبين

مختفون،
موتى بلا قبور،
قبور بلا أسماء،
نساء ورجال ابتلعهم الرعب،
أطفال رضع ما زالوا أو كانوا غنيمه حرب.
ومثلهم أيضاً،
الغابات الأصلية،
النجوم في ليل المدن،
عبق الأزمار،
مذاق الفاكهة،
الرسائل المكتوبة يدوياً،
المطاهي القديمة حيث كان هنالك وقت لإضاعة الوقت،
كرة القدم في الشوارع،
حق المشي،
حق التنفس،
الوظائف المضمونة،

التقاعد المضمون،
اللبوت بلا قضبان حماية حديدية،
الأوبلا بلا اطفال،
الحصن المشترك،
والحصن العام.

31 آب

ابطال

في العام 1943، خلال الحرب العالمية الثانية، كان الجنرال جورج باتون يخطب مشجعاً رجاله على هذا النحو:
أنتم موجودون هنا لأنكم رجال حقيقيون، وجميع الرجال الحقيقيين يحبون الحرب!
الأمريكيون يفخرون بأنهم رجال فحول، ونحن رجال فحول!
أمريكا تحب الرابحين! أمريكا لا تتسامح مع الخاسرين!
أمريكا تحتقر الجبناء! ونحن الأمريكيين نراهن على الربح يوماً!
ولهذا لم تخسر أميركا ولن تخسر حرباً واحدة!
لقد كان معاد التجسد. فقبل أن ينضم إلى جيش الولايات المتحدة، كان محارباً في قرطاج وفي أثينا، وفارساً في البلاط الإنكليزي وماريشالاً عند نابليون بونابرت.
الجنرال باتون مات في اليوم الأخير من عام 1935 عندما صدمته شاحنة.

ایلول / سبتمبر

1 ايلون

خونة

في العام 2009 أقيم في ألمانيا نصب للجنود المنشقين.
بدا غريباً اعتراف كهذا، بين الكثير من النُصب التي ينثرها تاريخ
البشرية في مروره.
– نصب للخونة؟ أجل، المنشقون خونة. إنهم خائنون للحروب.

2 ايلون

مخترع الحروب الوقائية

في العام 1939، غزا هتلر بولونيا لأن بولونيا كانت ستغزو ألمانيا.
وبينما كان نصف مليون جندي ألماني يتدفقون إلى الخريطة
البولونية، ومطر من القنابل يهطل من الطائرات، كان هتلر يعرض
نظريته في الحروب الوقائية: الوقاية خير من العلاج، وأنا أقتلُ قبل أن
يقتلوني.
لقد أسس هتلر مدرسة. فمنذ ذلك الحين، صارت جميع الحروب
هضمية، بلدانُ تاكلُ بلداناً، وتقول إنها حروب وقائية.

3 ايلول

أناس معترفون بالجميل

بعد عام من غزو بولونيا، كان هتلر يواصل هجومه المندفع ويلتهم نصف أوروبا. فقد سقطت، أو أوشكت على السقوط، النمسا، وتشيكوسلوفاكيا، وفنلنديا، والنرويج، والدنمرك، وهولندا، وبلجيكا، وفرنسا، وكانت قد بدأت غارات القصف الجوي الليلية على لندن ومدن بريطانية أخرى.

في طبعتها لهذا اليوم من العام 1940 نقلت صحيفة ABC الإسبانية خبراً عن أنه تم إسقاط مئة وست عشرة طائرة معادية ولم تخف سعادتها حيال النجاح العظيم الذي تحقّقه هجمات الرايخ. وعلى غلاف الجريدة يبتسم الجنراليسمو فرانثيسكو فرانكو ابتسامة المنتصر. فقد كان الاعتراف بالجميل إحدى مزاياه.

4 ايلول

الوفاء بكلمة شرف

في العام 1970، كسب سلفادور ألييندي الانتخابات وكرّس رئيساً لتشيلى.

وقال: - سوف أؤمّم النحاس.

وقال: - أنا لن أخرج حياً من هنا.

وقد وفى بكلمته.

5 ايلول

كافح الفقر: اقتل فقيراً

في العام 1638 ولد لويس الرابع عشر، ملك فرنسا، الملك الشمس. وعاش الملك الشمس منهمكاً بالحرب ضد جيرانه والاهتمام بباروكته المجددة، وعباءاته البديعة، وأحذيته ذات الكعوب العالية. وتحت حكمه، قُتلت مجاعتان متتاليتان أكثر من مليوني فرنسي. لقد عُرف الرقم بفضل اختراع بليز باسكال، قبل نصف قرن من ذلك، الحاسبة الآلية. وعُرف السبب بفضل فولتير الذي كتب بعد فترة من الزمان:

– السياسة الجيدة تعرف هذا السر: كيف تدفع إلى الموت جوعاً من يتيحون للآخرين العيش.

6 ايلول

المجتمع الدولي

استدعى الطاهي العجل، والخنوص، والنعامة، والعنزة، والغزال، والدجاجة، البطة، والأرنب البري، والأرنب، والحجل، والديك الرومي، والحمامة، والتدرج، وسمكة النازلي، والسردين، وسمكة القد، والتونا، والإخطبوط، والقريدس، والحبار، وحتى السرطان والسلحفاة اللذين كانا آخر الواصلين.

وعندما حضر الجميع، أوضح الطاهي:
– لقد جمعتكم كي أسألکم مع أي صلصة تفضلون أن تُؤكلوا.
عندئذ قال أحد المدعوين:

– أنا لا أرغب في أن أؤكل بأي طريقة.
اعتبر الطاهي الاجتماع منتهياً.

7 ايلول

الزائر

في هذه الأيام من عام 2000 صاغ مئة وتسعة وعشرون بلداً ميثاق الألفية الذي يلزمهم بحل كل مآسي العالم.
الهدف الوحيد الذي تحقق غير وارد في القائمة: تضاعف عدد الخبراء اللازمين لإنجاز تلك المهمات الشاقة.

وحسب ما سمعته في سانتو دومنغو، كان أحد أولئك الخبراء يجوب ضواحي المدينة حين توقف أمام حظيرة دجاجات دونيا ماريا دي لاس ميرثيدس هوليس وسألها:

– إذا ما أخبرتك كم حاجة لديك بالضبط، هل تعطيني واحدة منها؟

وشغّل على الفور كمبيوتره المحمول ذا شاشة اللمس، وفعل برنامج الـ GPS، واتصل عبر الأقمار الاصطناعية، وشغّل حاسب البيكسل:

– حضرتك تملكين مئة واثنيتين وثلاثين حاجة.
واختطف واحدة فوراً.

لم تلتزم دونيا ماريا دي لاس ميرثيدس الصمت:

– إذا أخبرتك ما هو عمالك، هل تعيد إليّ الدجاجة؟ سأقول لك إذاً: أنت خبير بولي. وقد عرفت ذلك لأنك جئت نون أن يستدعيك أحد، ودخلت إلى حظيرة دجاجاتي نون طلب الإنن، وأخبرتني بشيء أعرفه، وتقاضيت مني أجراً مقابل ذلك.

8 ايلول

يوم محو الأمية

سيرغيبي، شمال شرقي البرازيل: باولو فريري يبدأ دورة جديدة مع جماعة فلاحين شديدي الفقر، يريدون محو أميتهم.
- كيف حالك يا جواو؟

جواو يصمت. يعصر قبعته بين يديه. صمت طويل، وأخيراً يقول:
- لم أستطع النوم. لم أغمض عيني طيلة الليل.
لم يخرج مزيد من الكلام من فمه، إلى أن تلعثم:
- أمس كتبت اسمي أول مرة.

9 ايلول

تمائيل

عاش خوسيه أرتيغاس وهو يقاتل على صهوة حصان كريولي،
وينام تحت النجوم. وخلال حكمه لشعبه كان عرشه جمجمة بقرة،
ولباسه عباءة بونتشو وحيدة.

وبلباسه ذاك خرج إلى المنفى، ومات في الفقر.

هناك الآن تمثال شخص سام من البرونز يتأملنا ممتطياً فرساً أصيلاً
من عل في أهم ميدان في أروغواي.

هذا البطل الظافر المتشح بالمجد، مشابه تماماً لكل تماثيل
الشخصيات العسكرية البارزة التي يوقرها الجميع.
ويقول ذلك التمثال إنه خوسيه أرتيغاس.

اول إصلاح زراعي في أمريكا

حدث في 1815، حين لم تكن أروغواي قد صارت بلداً بعد، ولم تكن تُسمى بهذا الاسم.

باسم الشعب المنتفض، صادر خوسيه أرتيغاس أراضي الأوروبيين الأشرار والأمريكيين الأشد سوءاً، وأمر بأن توزع تلك الأراضي.

كان ذلك هو أول إصلاح زراعي في أمريكا، قبل نصف قرن من لينكولن، وقبل قرن من إيميليانو ثاباتا.

مشروع إجرامي، هتف السادة المهانون، والأدهى أن أرتيغاس نبّه:

– من هم أشدُّ بؤساً سيكونون التمييزين.

بعد خمس سنوات، هُزم أرتيغاس، وخرج إلى المنفى، وفي المنفى مات.

الأراضي الموزعة انتزعت ممن هم أشدُّ بؤساً، ولكن صوت المهزومين

مازال يقول:

– لا أحد أفضل من أحد.

يوم لمناهضة الإرهاب

مطلوب القبض على خاطفي بلدان.

مطلوب القبض على خانقي الرواتب ومبيدي الوظائف.

مطلوب القبض على معتصبي الأرض، ومسممي الماء، ولصوص الهواء.

مطلوب القبض على المتاجرين بخوف الناس.

12 ايلول

كلمات حية

في هذا اليوم من العام 1921 ولد أملكار كابرال في مستعمرة غينيا بيساو البرتغالية، غربي أفريقيا.
قاد حركة استقلال غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر.
من كلماته:

حذار من العسكرة، نحن مناضلون مسلحون ولسنا عسكريين.
سعادة الحياة فوق كل شيء.

الأفكار لا تسكن في الرأس وحسب. إنها تسكن كذلك في الروح والقلب والمعدة وفي كل شيء.

يجب الاستماع إلى الناس، التعلّم من الناس. لا تخفوا شيئاً عن الشعب. لا تقولوا أكانيب، بل اكشفوا الأكانيب. لا تضعوا أفضة للمصاعب والأخطاء والسقطات. ولا تتغنوا بانتصارات سهلة.

في العام 1973 اغتيل أملكار كابرال.
لم يستطع الاحتفال باستقلال البلدين الجديدين اللذين ساهم كثيراً في ولادتهما.

13 ايلول

الرحالة غير المتحرك

في العام 1883، إذا لم تخني الذاكرة، ولد ساندوكان، أميرٌ وقرصانٌ ونمر ماليزيا.

لقد انبثق ساندوكان من ذهن إميليو سالجاري، مثل شخصيات أخرى رافقت طفولتي.

أبو ساندوكان، أي إميليو سالجاري، ولد في فيرونا ولم يبحر قط أبعد من السواحل الإيطالية. لم يذهب قط إلى خليج ماراكايبو، ولا إلى غابات يوكاتان، ولا إلى موانئ العبيد في ساحل العاج، ولم يعرف صيادي اللؤلؤ في جزر الفيليبين، ولا سلاطين الشرق، ولا قراصنة البحر، ولا زرافات أفريقيا، ولا جواميس الغرب الأمريكي البعيد. أما أنا، وبفضله، كنت هناك وعرفت ما هناك.

حين كانت أمي لا تسمح لي بالخروج إلى أبعد من ناصية البيت، كانت روايات سالجاري تحملني للإبحار في سبعة بحار العالم وبحار إضافية أخرى.

سالجاري عرفني على ساندوكان وعلى ليدي مريانا، وحبها المستحيل. وعلى يانيث البحار، وعلى القرصان الأسود، وعلى هونوراتا، ابنة عدوه، وعلى أصدقاء كثيرين اختلقهم لينقذوه من الجوع وليرافقوه في وحدته.

14 ايلول

الاستقلال كعلاج وقائي

في ليل هذا اليوم من عام 1821، صاغ عددٌ قليل من السادة محضر استقلال أمريكا الوسطى، ولم يوقعوه إلا في صباح اليوم التالي. يقول المحضر، أو يعترف بكلمة أدق، إنه يجب إعلان الاستقلال دون تأخير، من أجل تجنب النتائج التي قد تكون رهيبية في حالة قيام الشعب نفسه بذلك الإعلان.

15 ايلول

قَبْنٌ مَصْرِفِيًّا

في العام 2008 انهارت بورصة نيويورك.

أيام هستيرية، أيام تاريخية: المصرفيون الذين هم أخطر لصوص المصارف نهبوا مؤسساتهم، على الرغم من أن كاميرات المراقبة لم تُصوّرهم قط، ولم ترن أية صفارة إنذار. ومنذ تلك اللحظة لم تعد ثمة طريقة لوقف الانهيار العام. العالم بأسره انهيار، حتى القمر نفسه أحس بالخوف من أن يفقد عمله ويجد نفسه مضطراً إلى البحث عن سماء أخرى.

سحرة وول ستريت الخبراء في بيع قصور في الهواء، سرقوا ملايين البيوت والوظائف، ولكن مصرفياً واحداً فقط ذهب إلى السجن. أما الآخرون فتوسلوا صارخين طالبين مساعدة صغيرة حباً بالرب وتلقوا، بسبب مزايا مساعيهم، أضخم تعويض لم يُمنح مثله في تاريخ البشرية قط. تلك الأموال الممنوحة تكفي لتقديم الطعام لجميع الجائعين في العالم، مع التحلية متضمنة، من الآن وحتى الأبد. لم تخطر هذه الفكرة لأحد.

16 ايلول

حفلة رقص تنكري

في الساعة الثانية من فجر هذا اليوم، من عام 1810، أطلق ميغيل هيدالغو الصرخة التي شقت الطريق إلى استقلال المكسيك. وحين كانت الصرخة على وشك إكمال قرن من الزمان، في العام

1910، قَدَّمَ الدكتاتور بورفيريو دياث موعدها يوماً، كي تتوافق مع عيد ميلاده، واحتفل بالثوية أعظم احتفال.

مدينة مكسيكو الملمعة والمكيفة استقبلت المدعويين المتميزين من أكثر من ثلاثين بلداً، قبعات عالية، وقبعات ريش، ومرآح يدوية، وقفازات، وحلي ذهبية، وحرير، وخطابات... لجنة السيدات خبأت المتسولين وألبست أطفال الشوارع أحذية. وألبس الهنود بناطيل، بناطيل وزعت مجاناً، بينما مُنع من الدخول من يرتدون سراويلهم وعباءاتهم التقليدية. وضع دون بورفيريو حجر الأساس لسجن ليكومبييري، ودشن بمهابة مستشفى المجانين العام الذي يتسع لألف مجنون.

استعراضٌ عظيمٌ قَدَّمَ رواية للتاريخ الوطني. طالب من مدرسة طب الأسنان مثل شخصية هرنان كورتيس، المتطوع الأول الذي جاء لتحسين السلالة، وهندي حزين شارك في الاستعراض متنكراً بهيئة موكتيزوما. وبلاط فرنسي، على طريقة لويس السادس عشر، احتل العربة الأنيقة التي انقزعت أكبر قدر من التصفيق.

17 ايلول

محرّرات مكسيكيات

وانتهت حفلة الذكرى الثوية، وجرى كنس كل تلك القمامة البراقة.

واندلعت الثورة.

التاريخ يتذكر اسمي القائدين الثوريين، إيميليانو تاباتا وبانتشو بيبيا، وفحول فحول آخرين. أما النساء اللاتي عشن بصمت فقد طواهن النسيان. بعض المحاربات القليلات رفضن أن يُمخون:

التمرة خوانا رامونا التي هاجمت عدة مدن واستولت عليها.
الجنرالة كارمن بيليث التي قادت ثلاثمئة رجل.
معلمة الديناميت أنخيل خيمينيث التي كانت تقول إنها أنخل
خيمينث.
إنكارناثيون ماريس التي قصت ضفيريها ووصلت إلى رتبة مساعد
ملازم مختبئة تحت واقية القبعة، *كيلا تُرى المرأة في عيني*.
أميليا روبليس التي كان عليها أن تتحول إلى اميليو ووصلت إلى رتبة
عقيد.

بيترا رويث التي اضطرت إلى التحول إلى بيدرو، ومن أطلقت
رصاصاً أكثر من الجميع من أجل فتح بوابات مكسيكو.
روسا بوباديا المرأة التي رفضت أن تكون رجلاً وقاتلت باسمها في
أكثر من مئة معركة.
وماريا كينتيراس التي عقدت حلفاً مع الشيطان ولم تتخلف عن
معركة واحدة. كان الرجال يطيعون أوامرهما. ومنهم زوجها.

18 ايلول

الدكتورة الأولى

في العام 1915 ماتت سوزان لافليش.
في الخامسة والعشرين من عمرها، كانت سوزان أول امرأة من
السكان الأصليين تنال الدكتوراه في الطب في الولايات المتحدة. فحتى
ذلك الحين لم يكن يوجد ولو طبيب واحد في المحمية التي يعيش فيها
هنود الأوماها في أسوأ حال.

لقد كانت سوزان الأولى والوحيدة، طبيبة الجميع، في الليل والنهار، وحيدة في الثلج وفي الشمس. وكانت قادرة على المواءمة بين الطب الذي تعلمته والحكمة المتوارثة، العلاجات الجامعية ووصفات أجدادها، كي تكون حياة هنود الأوماها أقل ألماً وأطول أمداً.

19 ايلول

الأميرال الأولى

معركة سالامينا انتهت قبل خمسة قرون من ميلاد المسيح. أرتميس، أول أميرالة في التاريخ العالمي، كانت قد حذرت خشايار شاه ملك فارس: مضيق الدردنيل مكان سيئ لقتال السفن الفارسية الثقيلة ضد السفن ثلاثية المجاذيف الإغريقية الخفيفة. لم يصغ لها خشايار شاه.

وفي أوج المعركة، حين كان أسطوله يتعرض لضربات رهيبية، لم يجد مفرّاً من ترك القيادة بين يدي أرتميس، وهكذا استطاع أن ينقذ، على الأقل، بعض سفنه وشيئاً من شرفه.

وقد اعترف خشايار شاه بخجل:

– الرجال صاروا نساء، والنساء صرن رجالاً.

في أثناء ذلك، وبعيداً عن ذلك المكان، كان طفل يدعى هيروdot قد أكمل الخامسة من عمره.

بعد بعض الوقت، روى هو نفسه القصة.

20 ايلول

بطلات

في عام 2003 جرت المنافسة على البطولة العالمية الثالثة لكرة القدم النسوية.

في نهاية المباريات كانت اللاعبات الألمانيات هنَّ البطلات؛ وفي عام 2007 حققن الفوز النهائي أيضاً.

لم يكن الطريق الذي قطعنه وريداً.

فمنذ 1955 حتى 1970 كانت كرة القدم محظورة على النساء الألمانيات.

وقد شرحت جمعية كرة القدم الألمانية السبب:

في الصراع على الكرة، تختفي الأناقة الأنثوية، ويتعرض الجسد والروح للأذى. وعرض الجسد يسيء إلى الحياء.

21 ايلول

نبي نفسه

كتب جيرولامو كاردانو طروحات في الجبر والطب، ووجد حلاً لبعض المعادلات التي لا حل لها، ووصف لأول مرة الحمى التيفية، وتقصى أسباب الحساسية، وكان مخترع بعض الأدوات التي مازالت مُستخدمة في الملاحظة.

إضافة إلى ذلك كله، كان يطلق بعض النبوءات في ساعات فراغه.

حين استشار بطاقة طالع يسوع الناصري، قالت له إن قدره كان مكتوباً في النجوم، فسجنته محاكم التفتيش المقدسة.

وعند خروج جيرولامو من السجن، أعلن:
- ساموت في 21 أيلول 1576.
ومنذ إطلاقه النبوءة توقف عن الأكل.
وقد أصاب.

22 ايلول يوم بلا سيارات

دعاة حماية البيئة وعديمو مسؤولية آخرون يقترحون يوماً، هذا اليوم، تخففي فيه السيارات من العالم.
يوم بلا سيارات؟ وماذا إذا انتقلت عدوى هذا اليوم ليصبح كل الأيام؟
لا قدر الله، ولا قدر الشيطان أيضاً.
فالمستشفيات والمقابر ستفقد أكبر عدد من زبائنها.
وستمتلئ الشوارع براكبي دراجات مضحكين ومشاة مثيرين للشفقة.
ولن تتمكن الرثات من استنشاق أذ السموم مذاقاً.
والأرجل التي نسيت عادة المشي ستعثر بأي حجر صغير.
وسيشوش الصمت المطبق الآلهة.
وستصبح الأستردادات السريعة صحارى باعثة على الكآبة.
وستخسر الإذاعات والتلفزيونات والمجلات والجرائد معلنيها
المليونيريين.
وسيحكم على البلدان البترولية بالبؤس.
والذرة وقصب السكر اللذان تحولا إلى طعام للسيارات، سيعودان
إلى الطبق البشري الذليل.

23 ايلول

إبحارات

كانوا يسمونها خلاسية قرطبة، دون أن يُعرف السبب. صحيح أنها خلاسية، ولكنها ولدت في ميناء فيراكروث، وعاشت في هذه المدينة منذ ولادتها.

قيل إنها مشعوذة. ففي العام 1600 وُضع سنوات، كانت لمسة يديها تشفي المرضى وتصيب القديسين بالجنون.

وبسبب الريبة بأن الشيطان يسكنها، حبستها محكمة التفتيش المقدسة في حصن جزيرة سان خوان دي أولولا.

وفي زنزانيتها وجدت قطعة فحم خلقتها نار ما هناك.

راحت تخريش بالفحم على الجدار، ورسمت يدها سفينة، دون إرادتها الراجية. فانفصلت السفينة عن الجدار وحملت السجينة إلى البحر الفسيح.

24 ايلول

الساحر المخترع

في العام 1912 دشّن الساحر هوديني، في سيرك بوش برلين، استعراضه الجديد:

حجرة التعذيب المائي!

الاختراع الأكثر أصالة في هذا العصر وكل العصور!

كان الاختراع خزاناً مملوءاً بالماء حتى حافته، ومغلقاً بإحكام،

يغطس فيه هوديني على بطنه وهو مقيد اليدين والكاحلين. ويمكن للجمهور رؤيته من خلال جدار زجاجي، بينما هوديني غاطس في الماء دون تنفس، إلى أن يخرج الغارق من الخزان أخيراً، بعد لحظات طويلة كأنها قرون.

لم يخطر ببال هوديني أن هذه الطريقة في الاختناق ستتحوّل بعد سنوات طويلة إلى وسيلة التعذيب المفضلة لدى الدكتاتوريات العسكرية الأمريكية اللاتينية، والوسيلة الأكثر امتداحاً لدى الخبير جورج دبليو بوش.

25 ايلول

العالم الكثير التساؤل

ميغيل إغناسيو ليلو لم يدرس في الجامعة، ولكنه استطاع أن يجمع، كتاباً بعد كتاب، مكتبةً تملأ بيته كله.

في يوم مثل هذا اليوم، عام 1919، أمضى طلابٌ من مدينة توكومان أمسية كاملة في بيت الكتب ذاك، وأرادوا أن يعرفوا ما الذي يفعله دون ميغيل للحفاظ على الكتب في حالة جيدة.

– كتبي تشمُّ الهواء – أوضح لهم العالم – إنني أفتحها وأسألها...
فإن تقرأ يعني أن تسأل.

كان دون ميغيل يسأل الكتب، وكان يسأل الأرض أكثر.

ولشغفه في التجوال متسائلاً، جاب على صهوة حصان شمال الأرجنتين، شبراً شبراً، خطوة خطوة، وهكذا عرف أسراراً تخفيها

الخريطة، وكلماتٍ وحيواتٍ قديمة، وأغاني الطيور التي تجهلها المدن،
والعقاقير البرية التي تقدمها البراري.
وليست قليلة الطيور والنباتات التي عمّدها هو نفسه بمنحها
أسماء.

26 ايلول

كيف كان العالم عندما بدأ يصير عالماً؟

فلورينتينو اميغينو كان كثير تساؤل آخر.
إنه خبير مستحاثات متحجرة منذ الطفولة. فقد كان لا يزال طفلاً
عندما شيد، في العام 1865، أول مجسم لعالم ما قبل التاريخ في قرية
من مقاطعة بوينس آيرس. وذات يوم مثل هذا اليوم، خرج من أعماق
كهف عميق محملاً بعظام، وراح يرتب في الشارع وضع فُكوكٍ وفقراتٍ
وعظامٍ حوض...

– إنها عظام مسخ هائل من حقبة الميزوسبي في عصر حقب الحياة
الوسطى – أوضح للجيران – وهذا قديم جداً. لا يمكن لحضراتكم
مجرد تخيله.

وراء ظهره، لم تستطع دونيا بالينتينيا، الجزيرة، منع نفسها من
الضحك:

– ما هذا الذي تقوله يا بني... إنها عظام ثعلب!
وقد كانت كذلك بالفعل.

ولكن ذلك لم يُوهن حماسته.

لقد جمع على امتداد حياته ستين ألف قطعة عظام لتسعة آلاف حيوان منقرض، حقيقي أو مُتخيل، وكتب تسعة عشر ألف صفحة استحق عليها الميدالية الذهبية وشهادة شرف من معرض باريس العالمي.

27 ايلول

أبهة محزنة

خلال إحدى عشرة دورة رئاسية ترأسها أنطونيو لوبيث دي سانتا آنا، فقدت المكسيك نصف أراضيها وفقد الرئيس إحدى ساقيه. نصف المكسيك راح وجبة غداءً للجار الشمالي، بعد بعض المعارك ومقابل خمسة عشر مليون دولار، الساق الشهيدة في المعركة جرى دفنها في هذا اليوم من عام 1842، وسط تشریفات عسكرية، في مقبرة سانتا باولا. الرئيس الملقب بالبطل، والنسر، والفضال، والمحارب الخالد، وأبي الوطن، وصاحب السمو والرفعة، ونابليون الغرب، وقبصر المكسيك، كان يعيش في منزل كبير في شالابا هو أكثر شبهاً بقصر فرساي. لقد جلب الرئيس من باريس الأثاث كله والزينات والتحف كلها. وفي مخدعه كانت هنالك مرآة بيضوية هائلة منحنية، تُحسن صورة من يتأمل نفسه فيها. وكل صباح، حين يستيقظ، يقف قبالة المرآة السحرية التي تعكس له صورة سيد متأنق طويل القامة... ونزيه.

28 ايلول

وصفة لطماننة القراء

ربما من المناسب التذكير أنه بعد شهر وبضعة أيام من القصف الذري الذي قضى على هيروشيما وناغازاكي، كذبت النيويورك تايمز الإشاعات التي كانت ترعب العالم.

ففي 12 أيلول 1945، نشرت هذه الصحيفة، في الصفحة الأولى، مقالاً بتوقيع محررها للموضوعات العلمية، وليم ل. لورنس. المقال يتصدى للروايات المثيرة للذعر ويؤكد أنه لا وجود لأية إشاعات نشطة في هاتين المدينتين المدمرتين، وأن النشاط الإشعاعي لا يعدو كونه واحدة من أكاذيب الدعاية اليابانية.

بفضل هذا الكشف، كسب لورنس جائزة بوليتزر.

بعد زمن من ذلك، عُرف أنه يتقاضى مرتبين شهريين: النيويورك تايمز تدفع له أحدهما، والراتب الآخر يأتي من حساب الميزانية العسكرية للولايات المتحدة.

29 ايلول

سابقة خطيرة

في العام 1948، تزوج سيرتز كاما، الأمير الزنجي من بوتسوانا، بروث وبيليامز، وهي إنكليزية بيضاء.

لم يرق ذلك الخبر لأحد. وعمد التاج البريطاني، مالك وسيد جزء لا بأس به من أفريقيا، إلى تعيين لجنة اختصاصيين لدراسة المسألة. الزواج بين عرقين مختلفين يعتبر سابقة خطيرة، أصدرت لجنة

المملكة البريطانية حكمها، وحُكم على الزوجين بالنفي.
ترأس كاما، من المنفى، النضال من أجل استقلال بوتسوانا. وفي
العام 1966، تحول إلى أول رئيس، جرى اختياره بأغلبية كبيرة في
انتخابات مستقلة.
عندئذ تلقى، في لندن، لقب سير.

30 ايلول

يوم المترجمين

من جنوبي فيراكروث، انطلق فتى في الطريق.
وحين رجع، بعد سنوات، أراد أبوه أن يعرف ما الذي تعلمه.
الابن أجابه:
- إنني مترجم. لقد تعلمتُ لغة العصفير.
وعندما غرد عصفور، طالب الأب ابنه:
- إذا لم تكن كاتباً ملعوناً، أخبرني بما قاله هذا العصفور.
رفض الابن، توسل قائلاً لأبيه إنه من الأفضل ألا تعرف ذلك، لأن
معرفة لن تروق لك. ولكنه أجبر أخيراً، وترجم تغريدة العصفور.
امتقع وجهه الأب. وطرد ابنه من البيت.

تشرين الأول / أكتوبر

1 تشرين الأول

الجزيرة المزرعة

- ستكون النوارس وحدها هي السكان الأصليين - هذا ما أعلنته الحكومة البريطانية.

وفي العام 1966 نفذت وعدها.

جميع سكان جزيرة ديبغو غارسيا، باستثناء النوارس، أرسلوا إلى المنفى، بحراب البنادق والرصاص.

وأجرت الحكومة البريطانية الجزيرة المزرعة للولايات المتحدة لمدة نصف قرن.

فردوس شواطئ الرمال البيضاء ذاك، وسط المحيط الهندي، تحول إلى قاعدة عسكرية، ومحطة لأقمار التجسس الاصطناعية، وسجن عائم وحجرة تعذيب للمشبهين بالإرهاب، وقاعدة انطلاق لتدمير البلدان التي تستحق العقاب.

وفيها أيضاً ملعب غولف.

2 تشرين الأول

هذا العالم مغرم بالموت

هذا اليوم، اليوم العالمي لناهضة العنف، يمكن أن يكون مفيداً في تذكر جملة للجنرال دوايت أيزنهاور، وهو لم يكن داعية سلام بالضبط.

في العام 1953، وكان رئيساً للبلاد التي تنفق أكبر قدر من الأموال على الأسلحة، اعترف:

- كل سلاح من الأسلحة المصنعة، كل سفينة حربية تبدأ الإبحار، كل قذيفة تُطلق، هي سرقة من الجائعين الذين لا يملكون طعاماً والعراة الذين لا يملكون لباساً.

3 تشرين الأول

من أجل التجميد

في عام 1905 اخترع الحلاق الألماني التسريحة «الدائمة». كانت التجارب توشك أن ترمد شعر زوجته، شهيدة العلم ونكران الذات، إلى أن وجد كارل أخيراً المعادلة المتقنة لتجميد الشعر وإبقائه مجمداً ليومين في الواقع، ولعدة أسابيع في الإعلانات الدعائية. عندئذ أطلق على نفسه اسماً فرنسياً - شارل - لإضفاء رشاقة لطيفة إلى منتجه.

تجراً بعض الرجال على التجريب.

أما نحن الصلعان فلا.

4 تشرين الأول

يوم الحيوانات

إلى ما قبل بعض الوقت كان أوروبيون كثيرون يرتابون في أن الحيوانات ما هي إلا شياطين متنكرة.

وإعدام الحيوانات الشيطانية بالشنق أو بالنار كان عرضاً شعبياً لا يقل نجاحاً عن إحراق الساحرات عشيقات الشيطان.

في الثامن عشر من نيسان 1499، في أبرشية جوسيتا الفرنسية، بالقرب من سارتر، أخضع خنوصٌ عمره ثلاثة شهور لمحاكمة جرمية. ومثل جميع الخنازير، لم يكن لذلك الخنوص روح ولا عقل، وقد ولد ليؤكل. ولكنه بدل أن يؤكل، أكل. فقد اتهم بأنه اتهم طفلاً. لم يكن الاتهام يستند إلى أي دليل مؤكد.

ولافتقاد الأدلة، تحوّل الخنوص إلى مذنب حين كشف النائب العام جان ليفوازيه، المجاز في الحقوق، والعمدة الأعلى لدير سان مارتين دي ليون، عن أن عملية الاتهام قد جرت في يوم الجمعة الحزينة المقدس.

عندئذ أصدر القاضي حكمه: الإعدام.

5 تشرين الأول

رحلة كولومبس الأخيرة

في العام 1992، أنهت جمهورية الدومينيكان بناء أكبر فنار في العالم، إنه عال إلى حدّ أن أنواره تعكّر أحلام الرب.

أقيم الفنار تكريماً لكريستوف كولومبس، الأميرال الذي دشّن السياحة الأوروبية إلى البحر الكاريبي.

عشية الاحتفال، تم نقل رماد كولومبس من كاتدرائية سانتو دومنغو إلى الضريح الذي أقيم عند قاعدة الفنار.

وبينما عملية نقل الرفات جارية، توفيت وفاةً طبيعية ومفاجئة إيما بالاغير التي قادت عملية البناء، وانهارت المنصة التي كان مقرراً للبابا

أن يمنح مباركته من فوقها.
بعض سيئي الظن أكدوا أن كولومبس يجلب سوء الطالع.

6 تشرين الأول آخر رحلات كورتيس

في العام 1547، حين أحسُّ بأن الموت يدغدغه، أمر كورتيس أن يدفنه في مكسيكو، في دير كويواكان الذي سيُكرَّم ذكراه. وعندما مات، كان بناء الدير لا يزال أمراً يُنظر فيه، وكان لا بد للمتوفى من أن يستقر متقللاً في عدة أمكنة في اشيبيلية.

وأخيراً وجدَّ مكاناً في سفينة حملته إلى المكسيك، حيث حصل على إقامة إلى جانب أمه، في كنيسة سان فرانثيسكو دي تيكسوكو. ومن هناك انتقل إلى كنيسة أخرى، إلى جوار آخر أبنائه، إلى أن أمر نائب الملك بنقله إلى مستشفى يسوع ليظلَّ محفوظاً هناك في مكان سريٍّ، بعيداً عن أيدي الوطنيين المكسيكيين الذين لديهم رغبة جنونية في تدنيسه.

راح مفتاح صندوق الرفات ينتقل من يد إلى يد، من راهب إلى راهب، طوال أكثر من قرن ونصف، إلى أن أكد علماء الموتى منذ زمن غير بعيد أن تلك الأسنان المهترئة وتلك العظام التي تحمل علامات الإصابة بالسفلس هي كل ما تبقى من جسد فاتح المكسيك.

أما عن الروح فلا يُعرف أي شيء. يقولون إنه يقال إن كورتيس قد كلف بهذا الشأن روحانياً من أوسوماسينتا، هندياً يدعى توماس، لديه مستودع أرواح يحتفظ فيه، ضمن قوارير، بالأرواح المغادرة التي يلتقطها عند الزفرة الأخيرة؛ ولكن هذا أمر لا سبيل إلى التأكد منه.

آخر رحلات بيثارو

العلماء الذين حدّدوا هوية هرنان كورتيس، أكدوا أيضاً أن فرانثيسكو بيثارو يقيم في ليما. وأن تلك العظام المخترقة بطعنات والمقوسة من الضرب، والتي تجتذب السياح، هي عظامه بالفعل. بيثارو الذي كان مربّي خنازير في إسبانيا، صار مركزياً في أمريكا، وقُتل غيلة عام 1541 على يد زملائه الفاتحين، عندما تنازعوا ببطولة على غنائم إمبراطورية الإنكا.

دُفن سراً، في الفناء الخارجي للكاتدرائية.

بعد أربع سنوات من ذلك، سمحوا له بالدخول. وجدّ مكاناً له تحت المذبح الكبير، إلى أن فقد في زلزال. وظلّ مفقوداً لزمّن طويل.

في العام 1891، تمكّن حشد من المعجبين من تأمل موميائه، في صندوق زجاجي. وسرعان ما عُرف أن تلك المومياء المحتالة التي تتظاهر بأنها بيثارو ليست كذلك.

في العام 1977، عثر البناؤون الذين يقومون بإصلاح سرداب الكاتدرائية على جمجمة، نُسبت ذات مرة إلى البطل. بعد سبع سنوات من ذلك جاء جسدٌ للقاء الجمجمة، وهكذا نُقل بيثارو المكتمل، أخيراً، بطقوس أبهة عظيمة، إلى قاعة تسجيلية في الكاتدرائية. منذ ذلك الحين يُعرض في ليما، المدينة التي أسسها هو نفسه.

الثلاثة

في العام 1967، ألف وسبعمئة جندي حاصروا تشي غيفارا ومقاتليه القليلين في بوليفيا، في كمبرادا دي يورو. وفي اليوم التالي جرى اغتيال تشي الذي وقع في الأسر.

في العام 1919، جرى اغتيال ثاباتا في المكسيك.

في العام 1934، قتلوا أغوستو سيسر ساندينو في نيكاراغوا.

الثلاثة كانوا في السن نفسها... كانوا على وشك بلوغ الأربعين.

الثلاثة سقطوا بالرصاص، غدرًا، في كمائن.

الثلاثة، أمريكيون لاتينيون من القرن العشرين، تقاسموا الخريطة

نفسها والزمان.

والثلاثة عوقبوا لأنهم رفضوا أن يُعيد التاريخ نفسه.

أنا رأيتُه يراني

في العام 1967، بينما كان تشي غيفارا مسجى في مدرسة هيغيرا، بعد اغتياله بأمر من الجنرالات البوليفيين وآمرهم البعידين، روت امرأة ما رأته. لقد كانت واحدة من الفلاحين الكثيرين الذين دخلوا المدرسة ومشوا ببطء حول الميت:

— كنا نمرُّ من هناك وهو ينظر إلينا. نمرُّ من هناك وينظر إلينا.

طيلة الوقت ينظر إلينا. لقد كان لطيفًا جدًا.

10 تشرین الأول

العَرَاب

حسب ما رواه لي أصدقائي الصقليين، وصل دون جينكو روسو، زعيم زعماء المافيا، إلى الموعد بتأخير مدروس مدته ساعتان ونصف الساعة. في باليرمو، في فندق سولي، كان ينتظره فرانك سيناترا. في ظهيرة هذا اليوم من عام 1963، قَدَمَ معبود هوليوود الولاء للملك صقلية: ركع فرانك سيناترا أمام دون جينكو وقَبِلَ يده اليمنى. في العالم بأسره، كان سيناترا هو الصوت، ولكن الأهم من الصوت في موطن أجداده هو الصمت. الثوم، رمز الصمت، وهو أحد العناصر الأربعة المقدسة في صلاة المائدة المافيوية: العناصر الأخرى هي الخبز، رمز الاتحاد؛ والملح، شعار الشجاعة؛ والنبيذ الذي هو الدم.

11 تشرین الأول

السيدة التي اجتازت ثلاثة قرون

ولدت أليس عبدةً في العام 1686، وعاشت عبدة لثمة وستة عشر عاماً. حين ماتت، عام 1802، مات معها جزء من ذاكرة أفارقة أمريكا. لم تكن أليس تعرف القراءة والكتابة، ولكنها كانت ممثلة بأصوات تروي وتروي أساطير تصل من بعيد، وتروي كذلك قصصاً معاشة من قريب. بعض تلك القصص تأتي من عبيد تساعدهم هي نفسها على الفرار.

في التسعين من عمرها صارت عمياء.

عند بلوغها المئة وسنتين، استعادت البصر:

– إنه الرب – قالت – لا يمكن له أن يخيب ظني.

كانوا يسمونها أليس الفيري دانكز. وفي خدمة سيدها كانت تعمل

في سفينة الفيري التي تنقل الركاب جيئة وذهاباً عبر ضفتي نهر ديلاوير.

وحين كان المسافرون، وهم من البيض دوماً، يسخرون من تلك العجوز

الهرمة شديدة الهرم، كانت تتركهم على الضفة الأخرى للنهر. لقد كانوا

ينادونها صارخين، ولكن ليس ثمة وسيلة. فقد صارت صماءً من كانت من قبل عمياء.

12 تشرين الأول

الاكتشاف

في العام 1492، اكتشف السكان المحليون أنهم هنود،

واكتشفوا أنهم يعيشون في أمريكا،

واكتشفوا أنهم عراة،

واكتشفوا وجود الخطيئة الأصلية،

واكتشفوا أنه عليهم طاعة ملك وملكة من عالم آخر، وإله آخر من

سماة أخرى،

وأن ذلك الإله قد اخترع الخطيئة والملابس

وأنه أمر بأن يُحرق حياً من يعبد الشمس والقمر والأرض والمطر الذي

يبللها.

الروبوتات المجهزة

خبر طيب. في هذا اليوم من عام 2011، أعلن قادة العالم العسكريون أن الطائرات الموجهة لاسلكياً يمكنها مواصلة قتل الناس. فهذه الطائرات التي بلا طيار، لا يقودها أحد، وتوجه بالتحكم عن بعد، تتمتع بصحة جيدة: الفيروس الذي هاجمها لم يكن أكثر من إزعاج عابر.

حتى الآن، ألقت الطائرات الموجهة لاسلكياً مطر قنابلها على ضحايا عزل في أفغانستان، والعراق، وباكستان، وليبيا، واليمن، وفلسطين، وهناك بلدان أخرى تنتظر خدماتها.

في أزمنة حروب التوجيه والتحكم، صارت الطائرات الموجهة هي المحاربين المفضلين. فهي تقتل دون تأنيب ضعير، تطيع الأوامر دون تدمير، ولا تشي أبداً بقادتها.

هزيمة للحضارة

في العام 2002 أغلقت مطاعم مكدونالد الثمانية أبوابها في بوليفيا. لم تكد تستمر تلك البعثة التحضيرية أكثر من خمس سنوات. لم يمنعها أحد. ما حدث بكل بساطة أن البوليفيين أداروا لها ظهورهم، أو بعبارة أدق: رفضوا أن يقدموا لها أفواههم. لقد رفض أولئك الجاحدون الاعتراف بلفتة الشركة الأوسع نجاحاً على الكوكب حين شرفت البلاد بحضورها بكل نزاهة.

حُبّ التخلف حال دون أن تجاري بوليفيا وجبات الطعام السريع وإيقاعات الحياة الحديثة الدوارية.

لقد هزمت الشركات البيئية التقدم. فالبوليفيون مازالوا يأكلون دون تعجل، في طقوس بطيئة، متمسكين بعناد بالطعوم القديمة المتولدة عن المواعد العائلية.

لقد ذهبت، كيلا تعود أبداً، الشركة التي تخصص في منح تسهيلات للأطفال، وفي طرد العمال الذين ينضمون إلى نقابات، وفي تضخيم بدانة البدناء.

15 تشرين الأول

دون ذرة لا بلاد

في العام 2009 سمحت حكومة المكسيك بزراعة، تجريبية ومحسنة، للذرة المطورة جينياً.

تعالت ضجة الاحتجاج من الأرياف. لا أحد يجهل أن الرياح ستتولى إشاعة غزو الذرة الجينية، إلى أن تتحول إلى كارثة قدرية.

كثير من القرى الأولى في أمريكا نمت وكبرت وهي تتغذى على الذرة. فالذرة هي البشر، والذرة لها، مثل البشر، كل الألوان والطعوم.

يمكن لأبناء الذرة، من يصنعون الذرة التي صنعتم، مقاومة هجمة الصناعة الكيمائية التي تفرض عقيدتها السامة على العالم؟ أم إن الأمر

سينتهي بنا، في كل أرجاء أمريكا، إلى تقبل هذه البضاعة التي يقال إن اسمها ذرة ولكن لها لون واحد وليس لها مذاق ولا ذاكرة؟

ظن أن العدالة عدالة

الحقوقي الإنكليزي جون كوك دافع عن لا يريد أحد الدفاع عنهم وهاجم من لا يستطيع أحد مهاجمتهم.

وبفضله تمكن القانون البشري، لأول مرة في التاريخ، أن يُدَلّ الإلوهية الملكية: في العام 1649، وجه المدعي العام كوك الاتهام إلى الملك كارل الأول، وتمكنت مرافقته الصائبة من إقناع المحلفين. أدين الملك بجرائم الطغيان، وقَطَعَ الجِلادُ رأسه.

بعد سنوات من ذلك، دفع المدعي العام الثمن. اتهموه بارتكاب جريمة قتل الملك، حبسوه في برج لندن. وقد دافع عن نفسه:
- لقد طَبَّقْتُ القانون.

هذا الخطأ كلفه حياته. فعلى أي حقوقي أن يعرف أن القانون يعيش في الأعلى ويصق إلى أسفل.

في مثل هذا اليوم من عام 1660، سُئِقَ كوك وقُطِعَ جسده في القاعة نفسها التي تحدى فيها السلطة.

حروب صامتة

هذا اليوم هو اليوم العالمي لمكافحة الفقر.

الفقر لا ينفجر مثل القنابل، ولا يدوي مثل طلقات الرصاص.

وعن الفقراء نعرف كل شيء: ما لا يعملون، وما لا يأكلون، وكم لا

يزنون، وكم لا طول قامتهم، وما لا يملكون، وما لا يفكرون، وأنهم لا

يُصَوِّتون، وبماذا لا يؤمنون.
ما تنقصنا معرفته فقط هو لماذا الفقراء فقراء.
ايكون السبب في أن عربهم يكسونا وجوعهم يطعمنا؟

18 تشرين الأول النساء أشخاص

في هذا اليوم من عام 1929، اعترف القانون، أول مرة، بأن نساء كندا أشخاص.
حتى ذلك الحين كانت النساء يعتقدن أنهن كذلك، أما القانون فلا.
التعريف القانوني للشخص لا يتضمن النساء، هذا ما أقرته محكمة العدل العليا في البلاد.
إيميلي مورفي، ونيللي بارلبي، وهنريت ادواردز: ولويس ماكيني
كنّ يتآمرن بينما هنّ يتناولن الشاي.
وقد تمكنّ من هزيمة المحكمة العليا.

19 تشرين الأول اللامرئيين

قبل ألف وخمسة عام، في فجر يوم مثل هذا اليوم، كان سقراط يتمشى مع غلوكون، شقيق أفلاطون، في محيط بيريو.
روى غلوكون قصة راعٍ من مملكة ليديا وجدّ ذات مرة خاتماً، وضعه في إصبعه وسرعان ما انتبه إلى أن أحداً لا يراه. فذلك الخاتم

السحري يجعله غير مرئي في أعين الآخرين.
تفلسف سقراط وغلوكون مطولاً حول التفرعات الأخلاقية لهذه
القصة. ولكن أياً من الاثنين لم يتساءل عن السبب في أن النساء والعبيد
ليسوا مرئيين في اليونان، بالرغم من أنهم لا يستخدمون خواتم سحرية.

20 تشرين الأول

النبي يال

في العام 1843 سجل لينوس يال براءة اختراع القفل الأشد متانة من
جميع الأقفال، مستوحياً اختراعاً مصريةً يرجع إلى نحو أربعة آلاف عام.
ومنذ ذلك الحين، أمّن يال أبواب وبوابات جميع البلدان، وصار
أفضل حارس لحق الملكية.
في أيامنا هذه، المدن المريضة بالذعر، هي أقفال عملاقة.
والمفاتيح موجودة في أيدي قليلة.

21 تشرين الأول

فجّروا بعضكم بعضاً

في حوالي العام 630 وبضعة أيام، قام طبيب وخيميائي صيني
مشهور يدعى سون سيمياو بخلط نترات بوتاسيوم، وملح بارود،
وكبريت، وفحم خشبي، وعسل وزرنيخ. كان يبحث عن أكسير الحياة
الخالدة. فتوصل إلى وسيلة للموت.
في العام 1867، حصل الكيميائي السويدي ألفريد نوبل على براءة

اختراع الديناميت في بلاده.
وفي العام 1876، حصل على براءة اختراع الجيلانيت.
في العام 1895، أسس جائزة نوبل للسلام. ومثلما يشير اسمها، ولدت
الجائزة مكرسة لمكافحة المناضلين السلميين. وقد مولتها ثروة تم جنيها في
ميادين المعارك.

22 تشرين الأول يوم الطب الطبيعي

هنود ناباخوس يعالجون وهم يغنون ويرسمون.
هذه الفنون العلاجية، نَفْسٌ مقدس ضد ضيق النفس، ترافق عمل
الأعشاب، والإبر، والآلهة.
على امتداد تسع ليال، ليلة بعد ليلة، يسمع المريض الغناء الذي
يُبعد الظلال الخبيثة التي أندست في بدنه، بينما أصابع الرسام ترسم
على الرمل سهاما، وشموساً، وأقماراً، وطيوراً، وأقواس قزح، وصواعق،
وأفاعي وكل ما يساعد على الشفاء.
وبانتهاء طقوس العلاج، يرجع المريض إلى بيته، الأغاني تتلاشى
والرمل يطير.

23 تشرين الأول غناء

في ليالي جنوب العالم الدافئة، في فصل الربيع، تستدعي ذكور
الجداجد إنائها.

تستدعيها بفرك أجنحتها الأربعة.
هذه الأجنحة لا تتقن الطيران. ولكنها تتقن الغناء.

24 تشرين الأول

رؤية

لم يكن العلماء يأخذونه على محمل الجد. لأن أنطوني فان ليفينهوك لا يتكلم اللاتينية، ولم يتلقَ تعليماً، واكتشافاته هي ثمرة المصادفة.

بدأ أنطوني بتجريب توليف عدسات، من أجل أن يرى بصورة أفضل المنسوجات التي يبيعها، ومن عدسة إلى عدسة اخترع ميكروسكوباً من خمسمئة عدسة مكبرة يمكنه من أن يرى، في قطرة ماء، حشداً من كائنات تتراكم بأقصى سرعة.

تاجر الأقمشة هذا اكتشف، بين توافه كثيرة أخرى، الكريات الحمر، والجراثيم، والحيوانات المنوية، والخمائر، ودورة حياة النمل، والحياة الجنسية للبراغيث، وتشريح حُمة النحل.

في المدينة نفسها، مدينة دلفت الهولندية، كان قد ولد، في الشهر نفسه من عام 1632، كلٌّ من أنطوني وفييرمر الفنان الرسام. وفي المدينة نفسها انكبا على رؤية ما هو غير مرئي. فكان فيرمر يلاحق النور المختبئ في الظل، وكان أنطوني يتجسس على أسرار أشد أقرابنا في ملكوت هذا العالم ضالة.

25 تشرين الأول

رجل هندي

ضئيل جداً ما كانت تساويه حياة إنسان في كولومبيا. وحياة إنسان فقير تكاد لا تساوي شيئاً. ولا شيء على الإطلاق تساوي حياة هندي، وحياة هندي متعرد تساوي أقل من لا شيء.

ومع ذلك فإن كينتين لاميه مات عجوزاً في عام 1967. لقد ولد في هذا اليوم من عام 1880، وعاش سنوات حياته المديدة سجيناً أو مقاتلاً.

في سجن توليما، أحد مواقع تعاساته، سُجن مئة وثمانين مرات. في الصور البوليسية يظهر دوماً بعينين متورمتين، بفعل تحيات الدخول؛ وبشعر حليق، من أجل انتزاع قوته.

مالكو الأراضي يرتجفون حين يسمعون اسمه، ويبدو أن الموت أيضاً يخاف منه. إنه رجل كلمات ناعمة وإيماءات حساسة، كان يغير كولومبيا بدفعه الشعوب الهندية إلى التمرد:

– نحن لم نأت مثل خنازير بلا كابح لنجوس في زرع الآخرين.
هذه الأرض أرضنا – يقول كينتين، وخطاباته التحريضية كانت دروساً في التاريخ. لقد كان يروي ماضي ذلك الحاضر، سبب وزمن كل ذلك الشقاء: ابتداء من الماقبل، ثم يأخذ بالاستنباط بعد ذلك.

26 تشرين الأول

حرب لمصلحة المخدرات

بعد عشرين عاماً من قصف المدافع وموت آلاف الصينيين،

أعلنت الملكة فيكتوريا النصر: الصين التي كانت تمنع المخدرات فتحت أبوابها للأفيون الذي يبيعه التجار الإنكليز.
بينما كانت القصور الإمبراطورية تشتعل، وقّع الأمير جونغ الاستسلام في العام 1860.
لقد كان انتصاراً للحرية: حرية التجارة.

27 تشرين الأول

حرب ضد المخدرات

في العام 1986 تسلّم الرئيس رونالد ريغان الرمح من ريتشارد نيكسون الذي كان قد أطلق منذ سنوات الحرب ضد المخدرات وتلقى دافعاً مليونيراً.

منذ ذلك الحين تضاعفت أرباح تجار المخدرات والمصارف الكبرى التي تغسل الأموال؛

المخدرات شديدة التركيز صارت تقتل ضعف من كانت تقتلهم من قبل. وكل أسبوع يجري افتتاح سجن جديد في الولايات المتحدة لأن أعداد متعاطي المخدرات يتضاعف في البلاد التي تضم أكبر عدد من المتعاطين.
أفغانستان، البلاد التي غزتها الولايات المتحدة واحتلتها، تحولت إلى المون بكل الهيروين تقريباً الذي يشتره العالم.

والحرب ضد المخدرات حولت كولومبيا إلى أكبر قاعدة عسكرية أمريكية، وهي آخذة بتحويل المكسيك إلى مسلخ جنوني.

28 تشرين الأول

جنون سيمون

في هذا اليوم، في كاراكاس، عام 1769، ولد سيمون رودريغث. الكنيسة الكاثوليكية عمّدتَه على أنه *párvulo expósito*، ابن لا أحد، ولكنه كان أكثر أبناء أمريكا الإسبانية تعقلاً. وعقاباً على تعقله، لقبوه *المجنون*. كان يقول إن بلداننا ليست حرة، حتى لو كانت لها أناشيد وطنية وأعلام، لأن الأحرار هم من يؤمنون وليس من يبدو رأياً، وأحرار من يفكرون، وليس من يطيعون. وكان *المجنون* يقول: التعليم هو أن تُعلم الشك.

29 تشرين الأول

رجل طيب القلب

في 1981، وبلقطة كريمة تُكرم ذكراه، أقدم الجنرال أغوستو بينوشيت على بيع أنهار وبحيرات تشيلي ومياهها الجوفية بثمن بخس. بعض الشركات النجمية، مثل اكستراتا السويسرية، والشركات الكهربائية مثل إنديسا الإسبانية وشركة AES Gener الأمريكية، صارت المالكة الأبدية لأغزر أنهار تشيلي. تلقت شركة إنديسا مسطحاتاً مائياً يساوي مساحة بلجيكا. الفلاحون وتجمعات السكان الأصليين فقدوا الحق في الماء، وحُكم عليهم بأن يشتروه، ومنذ ذلك الحين تقدّمت الصحراء ملتهمة أراضي خصبة، وراح المشهد الريفي يفرغ من البشر.

المريخيون آتون !

في 1938 حطت السفن الفضائية^٧ عليه على سواحل الولايات المتحدة،
واندفع منها المريخيون لاجل هجوم. كانت لهم أذرع أخطبوطية شرسة، وعيون
سوداء هائلة تماماً. حتى صواعق متوقدة، وأفواه تسيل ريالة لها شكل ٧.

مواطنون كثيرون خرجوا مذعورين إلى الشوارع، متدثرين بمناشف
مبللة بالماء للاحتماء من الغاز السام الذي ينبعث من المريخيين،
وكثيرون آخرون

ون فضلوا أن يعتكفوا وراء مزاليج ومباريس وتسلح جيد بانتظار
المعركة الفاصلة.

أورسون ويلز هو من اخترع ذلك الغزو الفضائي، وبثه عبر الإذاعة.
لقد كان الغزو أكذوبة، لكن الخوف كان حقيقياً.

وقد استمر الخوف: فالمريخيون صاروا روساً، كوريين، فيتناميين،
كوبيين، نيكاراغويين، أفغاناً، عراقيين، إيرانيين...

أجداد رسوم الكاريكاتير السياسية

في العام 1517، علق الراهب مارتن لوتر كلماته المتحدية على بوابة
كنيسة قلعة ويتنبرغ.

بفضل الاختراع المسمى مطبعة، لم تبق تلك الكلمات هناك. لقد
وصلت أطروحات لوتر إلى الشوارع والساحات ودخلت إلى بيوت

وحانات ومعابد ألمانيا وأبعد من ألمانيا.

كان الإيمان البروتستانتي يولد. وكان لوتر يهاجم بذخ كنيسة روما وتبذيرها، وبيع تذاكر الدخول إلى الفردوس، ونفاق عزوبية الكهنة...
لم تكن تلك الهرطقات تنتشر كلاماً وحسب، بل في رسوم أيضاً
تصل إلى مزيد من الناس، لأن قلة من الناس كانت تعرف القراءة،
ولكنهم جميعهم قادرين على الرؤية.

الرسوم التي كانت تساعد على نشر احتجاجات لوتر، هي أعمال
للوكاس كرانش، وهانز هولبين وفنانين آخرين، ولم تكن رسوماً شديدة
اللطف، ففي بعضها يظهر البابا كمجل ذهبي مريح، أو كحمار له ثدياً
امرأة وذيل شيطان، أو يكون بديناً تغطيه الجواهر والحلي ويسقط على
رأسه بين أسنة لهب الجحيم.

أدوات الدعاية الدينية المرهفة تلك التي ساعدت كثيراً في الانتشار
الجماعي لتمرّد لوتر، أسست، دون أن تدري، لكاركاتير أزمنتنا
السياسي.

تشرين الثاني / نوفمبر

1 تشرين الثاني

حذار من الحيوانات

في العام 1986 ضربت جائحة جنون البقر البريطانيين، وأكثر من مليوني بقرة مشبوهة بالإصابة بالعدوى، عوقبت بالحكم عليها بالعقوبة القسوى.

في العام 1997، أنفلونزا الطيور التي انتشرت من هونغ كونغ، زرعت الهلع وحكمت على مليون ونصف مليون طائر بالموت المبكر. في العام 2009، انفجرت في المكسيك والولايات المتحدة جائحة أنفلونزا الخنازير، وكان على العالم بأسره أن يضع الأقنعة ضد الوباء. ملايين الخنازير، لا يُعرف عددها بالضبط، ضُحي بها لأنها تسعل أو تعطس.

من المسؤول عن الأوبئة البشرية؟ إنها الحيوانات.
هكذا ببساطة.

وبالمقابل لا تدور أدنى شبهة حول شركات التجارة الزراعية العالمية العملاقة، تلاميذ السحرة هؤلاء الذين يحولون الأغذية إلى قنابل كيميائية عالية الخطورة.

2 تشرين الثاني

يوم الموتى

في المكسيك، يدعو الأحياء الموتى في ليل هذا اليوم من كل عام، فيأكل الموتى ويشربون ويرقصون ويطلعون على آخر الأقاويل وعلى مستجدات الجيران.

ولكن في نهاية الليل، حين تقول لهم النواقيس وأول أنوار الفجر وداعاً، يتصنع بعض الموتى أنهم أحياء ويختبئون في تعرجات المقبرة وبين القبور. عندئذ يتراكم الناس وراءهم بالمكانس: *هيا انصرف دفعة واحدة، هيا اذهب واتركنا بسلام، لا نريد رؤيتك حتى السنة القادمة.*

ذلك أن الموتى شديداً العناد.

في هايتي، هنالك تقليد قديم يحظر حمل النعش في خط مستقيم إلى المقبرة. يحمله الموكب في حركة متعرجة وبكثير من اللف والدوران، من هنا، من هناك، ومرة أخرى من هنا، من أجل تضليل المتوفى بحيث لا يتمكن من العثور على طريق العودة إلى البيت.

ففي هايتي، كما في كل مكان، الموتى أكثر عدداً بكثير من الأحياء. والأقلية الأحياء يدافعون عن أنفسهم كيفما يستطيعون.

3 تشرين الثاني

المقصلة

ليس الرجال وحدهم هم من فقدوا رؤوسهم بها. بل كانت هناك نساء أيضاً قتلتهن المقصلة ونسيتهم، لأنهن لم يكن مهنات مثل الملكة أنطوانيت.

ثلاث حالات نموذجية :

أولبيا دي غوغيس قطعت الثورة الفرنسية رأسها، عام 1793،
كيلا تواصل الاعتقاد بأن النساء أيضاً هن مواطنات.

في العام 1943 اقتيدت ماري لويز جيرو إلى منصة الإعدام في
باريس لممارستها الإجهاض، لأنه عمل إجرامي ضد الأسرة الفرنسية.
وفي الوقت نفسه: في ميونخ، كانت المقصلة تقطع رأس طالبة،
صوفي شول، لتوزيعها منشورات ضد الحرب وضد هتلر:
- يا للحزن - قالت صوفي - يوم بهذا الجمال، ويهذه الشمس،
ويكون عليّ أن أغامر.

4 تشرين الثاني

انحصار تينوتشيتلان

من يستطيع حصار تينوتشيتلان؟، كان المغنون يتساءلون. من ذا
الذي يستطيع زعزعة قواعد السماء؟
في العام 1519، حمل المرسلون أخباراً إلى موكتيزوما، ملك
الأزتيك، بأن كائنات غريبة، تبصق رعوداً ولهم صدور من حديد،
ووجوه مغطاة بالشعر، وأبدان بستة قوائم، تتقدم باتجاه تينوتشيتلان.
العاهل رحب بهم بعد أربعة أيام.
فقد أتوا من البحر نفسه الذي ابتعد عبره، منذ أزمنة بعيدة، الإله
كيتزالكواتل، وقد ظن موكتيزوما أن هرنان كورتيس هو الإله العائد.
فقال له:
- إلى أرضك وصلت.

وسلم إليه التاج، وقدم له هدايا من الذهب: بط من الذهب، نمور من الذهب، أقنعة من الذهب، ذهب ومزبد من الذهب. عندئذ، ودون أن يستل كورتيس سيفه، سجنه في قصره. موكتيزوما مات رجماً على يد شعبه.

5 تشرين الثاني

مرض اسمه العمل

في العام 1714 مات، بمدينة بادوا، بيرناردينو رامازيني. كان طبيباً غريب الأطوار، يبدأ بالسؤال: - أين تعمل؟

لم يكن يخطر لأحد أنه يمكن أن تكون لهذا الأمر أية أهمية. لقد سمحت له خبرته أن يكتب أول بحث في طب العمل، حيث وصف، واحداً فواحداً، الأمراض المتواترة في أكثر من خمسين مهنة. وأثبت أن الأمل ضعيف في شفاء العمال الذين يأكلون الجوع، بلا شمس وبلا راحة، في ورش مغلقة، غير صالحة للتنفس، وقذرة.

6 تشرين الثاني

الملك الذي لم يكن

الملك كارلوس الثاني ولد في مدريد عام 1661. خلال سنوات عمره الأربعين، لم يستطع قط الوقوف على قدميه، ولا

التكلم دون ريانة، ولا تحمّل التاج على رأسه الذي لم تزره أي فكرة قطّ
لقد كان كارلوس حفيداً لعمته، وكانت أمه ابنة أخ لأبيه، وجد أبيه
عماً لجدّة أمه: آل هايبسبورغ كانوا يحافظون على كل شيء ضمن البيت.
كل ذلك الورع الأسري قضى على سلالتهم.
عندما مات كارلوس ماتت معه السلالة في إسبانيا.

7 تشرين الثاني

أحلام

في العام 1619، وكان رينه ديكرت لا يزال فتى صغيراً، حلم
كثيراً في ليلة واحدة.
وكما روى هو نفسه، في الحلم الأول كان يمشي معوجاً ولا يستطيع
الاستواء، يصارع بشق النفس ضد الريح التي تدفعه بعنف نحو المدرسة
والكنيسة.
في الحلم الثاني، انتزعته ساعة من الفراش وامتلات الحجره
ببشرر يضيء كل شيء.
وفي الثالث، رأى نفسه يفتح موسوعة، بحثاً عن طريق يتبعه في
الحياة، ولكن صفحات الموسوعة كانت تنقصها هذه الصفحة.

8 تشرين الثاني

مهاجرون شرعيون

في طائرة خاصة طاروا حتى مونتيري.
وهناك بدؤوا، في العام 2008، جولتهم الظافرة. اعتُبروا ضيوفاً

بارزين، وفي ثماني عربات فاخرة جالوا في الشوارع الواسعة. بدوا سياسيين فائزين، ولكن لا. لقد كانوا مومياوات. مومياوات وباء الكوليرا الذي اجتاح قبل قرن ونصف القرن مدينة غواناخواتو. إحدى عشرة امرأة وسبعة رجال وخمسة أطفال، ورأس بلا جسد، جميعهم بملايس احتفاليه، اجتازوا الحدود. وعلى الرغم من أنهم مومياوات مكسيكية، إلا أن أحداً لم يطلب منهم جوازات سفر، ولم يحاصرهم حرس الحدود. وبكل هدوء واصلوا الرحلة نحو لوس أنجلوس، ولاس فيغاس، وشيكاغو، حيث استعرضوا بحفاوة، تحت أقواس من الزهور.

9 تشرين الثاني

ممنوع المرور

في مثل هذا اليوم، عام 1989، مات جدار برلين. ولكن جدراناً أخرى ولدت للحيلولة دون أن يتغزو المغززون غازيهم. كيلا يسترد الأفارقة أجور العبيد التي لم تُدفع لهم قط. كيلا يعود الفلسطينيون إلى الوطن الذي سُرق منهم. كيلا يدخل الصحراويون إلى أرضهم المغتصبة. كيلا يطمأ المكسيكيون الخريطة الفسيحة التي ابتلعت منهم. في العام 2005، عبّر الرجل — القذيفة الأشهر في العالم، دافيد سميث، عن احتجاجه، بطريقته، على الجدار المهين الفاصل بين المكسيك والولايات المتحدة. أطلقه مدفعٌ ضخم، ومن أعالي الهواء استطاع دافيد السقوط سليماً معافياً انطلاقاً من الجانب المحظور من الحدود.

لقد ولد في الولايات المتحدة، ولكنه كان مكسيكياً خلال الوقت الذي استغرقه طيرانه.

10 تشرين الثاني

يوم العلوم

أثبت الطبيب البرازيلي دراوزو فاريلو أن العالم يستثمر في معالجة داء الزهايمر مبالغ مالية أقل بخمس مرات مما يستخدمه في المنشطات الجنسية الذكرية وسيلكون التجميل الأنثوي. وتنبأ:
- بعد بضع سنوات، سيكون لدينا عجائز بأثداء كبيرة ومسنون بقضبان منتصبة ولكن أيًا منهم لا يتذكر سبب وجود هذه الأشياء.

11 تشرين الثاني

فيودور دستويفسكي ولد مرتين

في المرة الأولى ولد في موسكو، في هذا اليوم من عام 1821. وفي نهاية العام 1849، ولد من جديد، في سان بطرسبرغ. كان دستويفسكي قد أمضى ثمانية شهور معتقلاً، ينتظر إعدامه رمياً بالرصاص. في البدء لم يكن يريد أن يحدث ذلك، ثم بدأ في ما بعد يتقبل حدوثه عندما يجب أن يحدث. وأخيراً صار يرغب في حدوثه بأسرع ما يمكن، أن يحدث وينتهي، لأن الانتظار كان أسوأ من الموت. وظلّ على تلك الحال حتى فجر اليوم الذي جَرَّج فيه هو والمدانون الآخرون سلاسلهم حتى ساحة سيمينوفيسك، على ضفاف نهر نيفا.

الصوتُ الأمرَ، ولدى الصرخة الأولى قام الجلادون بعصب أعين الضحايا.

ومع الصرخة الثانية، سمعت قرعة تهيئة البنادق. وعند الصرخة الثالثة: صوبوا أسلحتكم، تعالت توسلات، وتأوهات، وبكى البعض. وساد بعد ذلك الصمت. ثم صمت.

ومزيد من الصمت، إلى أن سُمع في ذلك الصمت اللانهائي أن قيصر عموم روسيا، في لفظة كريمة، قد أرسل قراره بالعفو.

12 تشرين الثاني

لا أحب أن تكذبوا عليّ

الراهبة خوانا إنييس دي لا كروث، ولدت في هذا اليوم من عام 1951، وكانت الأفضل.

لم يحلق أحدٌ عالياً مثلها في بلادها وفي زمانها. دخلت فتيةً جداً إلى الدير. ظننت أن الدير سجنٌ أخف وطأة من البيت. وكانت معلوماتها خاطئة. وحين عرفت الحقيقة كان الوقت قد فات. بعد سنواتٍ من ذلك ماتت - محكوم عليها بالصمت - تلك المرأة التي كانت أحسن الجميع قولاً.

لقد اعتاد سجانوها أن يغدقوا عليها المديح الذي لم تصدقه قط. في إحدى المناسبات، رسم لها رسام نائب الملك في المكسيك صورةً كانت أشبه بنبوءة فوتوشوب. فردت عليه بقصيدة:

هذا الذي به سعيت للتملق
اعتذاراً من فظاعات السنين،
ونجاوراً لقسوة الزمن
انتصاراً على الشدخوخة واللسان،
ما هو إلا مسعى بليد خاطئ،
حمد باطل، وينظرو أدق
إنه جنة، غبار، ظل، عَدَم

13 تشرين الثاني

أبو موبى ديك

في العام 1851 نُشرت في نيويورك الطبعة الأولى من موبى ديك. كان هرمان ميلفيل، جوال البحر واليابسة، قد نشر بعض الكتب الرائجة، ولكن موبى ديك، عمله البارع، لم تنفذ طبعته الأولى تلك قط، ولم يكن لأعماله التالية حظاً أوفر مات ميلفيل منسياً، بعد أن أدرك بوضوح أن النجاح والإخفاق هما حدثان مشكوك في أهميتهما.

14 تشرين الثاني

أم الصحفيات

في صباح هذا اليوم من عام 1889، بدأت نيللي بلي رحلتها. لم يصدق جول فيرن أن تلك المرأة الصغيرة الجميلة ستتمكن من

الدوران حول العالم، وحدها، في أقل من ثمانين يوماً.
ولكن نيللي احتضنت الكوكب في اثنين وسبعين يوماً بينما هي
تنشر تحقيقاً صحفياً إثر تحقيق عما تراه وتعيشه.
لم يكن ذلك هو تحدي الصحفية الشابة الوحيد، ولم يكن الأخير
أيضاً.

فمن أجل أن تكتب عن المكسيك، «تمسكت» إلى حدٍّ أصيبت معه
الحكومة المكسيكية بالذعر وطردها.

وكي تكتب عن المصانع، اشتغلت عاملة.

وكي تكتب عن السجون، جعلتهم يسجنونها لاقترافها سرقة.

ولتكتب عن مستشفيات المجانين، تظاهرت بالجنون، وقد مثلت
على أحسن وجه، حتى إن الأطباء اعتبروها مجنونة لا شفاء لها. وهكذا
استطاعت التنديد بأساليب العلاج النفسي التي عانت منها، والتي
يمكن لها أن تحوّل أي شخص إلى مجنون.

حين كانت نيللي في العشرين من عمرها، في بيتسبرغ، كانت
الصحافة شأنًا من شؤون الرجال.

في ذلك الحين، اقتصرت هي وقاحة نشر تحقيقاتها الصحفية الأولى.

بعد ثلاثين عاماً من ذلك نشرت تحقيقاتها الأخيرة وهي تنفادي
الرصاص على خطّ النار في الحرب العالمية الأولى.

15 تشرين الثاني

هوغو بلانكو ولد مرتين

في كوسكو، عام 1934، ولد هوغو بلانكو أول مرة.
وصل إلى الحياة في بلد، البيرو، مقسموم إلى اثنين.

وكانت ولادته في المنتصف.

كان أبيض، لكنه ترعرع في قرية، تدعى هوانوكيتي، حيث يتكلم زملاؤه لغة الكيتشوا في لعبهم وتجوالمهم، وذهب إلى مدرسة كوسكو، حيث لا يمكن للهنود المشي على الأرصفة المحجوزة للناس المحترمين. ولد هوغو للمرة الثانية وهو في العاشرة من عمره. ففي المدرسة تلقى أخباراً من القرية، وعلم أن دون بارتولومي باث قد وسم عاملاً هندياً بحديدٍ مُحَمَى. مالك الأراضي والناس وسم بالنار أول حرفين من اسمه BP على إلية العامل المدعو فرانثيسكو تاماتا، لأنه لم يعتن جيداً بأبقار سيده.

لم يكن ما فعله حدثاً غير عادي، ولكنه وضع بذلك الوسم وسمّاً في ذهن هوغو إلى الأبد.

ومع مرور السنوات راح هذا الرجل الذي لم يكن هندياً يتحول إلى هندي؛ فنظم نقابات فلاحين، ودفع ثمن نكته المختارة طوعاً تلقية الضرب والتعذيب والسجن والمضايقة والنفي. في أحد إضراباته الأربعة عشر عن الطعام، حين لم يعد قادراً على تحمل المزيد، أرسلت إليه الحكومة المتأثرة لحاله، تابوتاً كهديّة.

16 تشرين الثاني

متقن للحياة

بما أنه كان حسير البصر، لم يجد بدأً من اختراع عدسات أسست لعلم البصريّات الحديث، وتلسكوبٍ اكتشف نجماً جديداً. ولأنه كان بصاصاً جداً، رأى وهو ينظر إلى ندفة ثلج في راحة يده أن

روح الثلج لها شكل نجمة بستة رؤوس، ستة، مثلما هي جدران حجيرات
خلية الفحل، وبمعني عقله رأى أن الشكل السداسي يتقن استخدام المكان
بأفضل طريقة.

ومن شرفة منزله رأى أن رحلة النباتات الصغيرة بحثاً عن الضوء
ليست دائرية، واستنتج أنه قد لا تكون دائرية كذلك رحلة الكواكب
حول الشمس، وراح تلسكوبه يقيس المدارات الإهليجية.
لقد عاش رائياً.

وعندما لم يعد يرى مات في مثل هذا اليوم من عام 1630.
على قبر يوهانس كيبلر كتابة تقول:
قستُ السماوات. والآن، أقيسُ الظلمات.

17 تشرين الثاني

المسمع الآخر

اليوم توفي، في العام 1959، الموسيقي البرازيلي هيتور فيلالوبوس.
كان له جهازا سمع، واحدٌ داخلي والآخر خارجي.
في سنوات فتوته، حين كان يكسب عيشه بالعرزف على البيانو في
ماخور برينو دي جانبيرو، كان فيلالوبوس يتدبر أمره ليؤلف أعماله
الموسيقية، يتدبر الأمر كما يلي: يغلِق مسمعه الخارجي عن صخب
القهقهات والشراب، ويفتح مسمعه الداخلي ليسمع، نغمة فنغمة،
موسيقاه الوليدة.

في ما بعد، في سنوات نضجه، كان مسمعه الداخلي ملاذه من
شتائم الجمهور ومن سموم الناقدین.

18 تشرين الثاني

زورو ولد أربع مرات

في 1615 ولد أول مرة. وسُمي وليام لامبورت، كان أحمر الشعر، وكان أيرلندياً.

ثم ولد مرة أخرى حين استبدل اسمه وموطنه، فصار غييين لومباردو، إسبانياً، ونقيباً في الأسطول الإسباني.

ولد للمرة الثالثة متحولاً إلى بطل استقلال المكسيك، وفي العام 1659 حُكِمَ عليه بالموت حرقاً، فشئق نفسه قبل أن يتعرض للموت في عار النار.

انبعث في القرن العشرين. وسُمي ديينغو دي لا بيغا، وكان يتقنع بقناع، وكان زورو سيفَ الضعفاء العادل، يخلف إشارة Z حيثما يمر. دوغلاس فيريمانكس، وتيرون بوير، وآلان ديلون، وأنطونيو بانديراس، جمعهم شهرها سيفه في هوليوود.

19 تشرين الثاني

الطحلب والحجر

في فجر هذا اليوم من عام 1915 أُعدم جو هيل رميةً بالرصاص في سالت لاك سيتي.

هذا المحرض الأجنبي الذي بَدَّلَ اسمه مرتين وبدل مهنته وعنوانه ألف مرة، اقترف خطيئة الأغنيات التي ترافق المظاهرات العمالية في الولايات المتحدة.

في الليلة الأخيرة، طلب من رفاقه ألا يضيعوا الوقت في البكاء

عليه :

رغبتي الأخيرة سملة القول،
لأنني لم أخلف ثروة يمكن اقتسامها،
حررتي هي كل ما تبقى،
فلحجر المتحرج لا تنوالد عليه طحالب.

20 تشرين الثاني

أطفال يتكلمون

اليوم هو يوم الطفولة.
أخرج لأمشي وتصادفني طفلة في الثانية من العمر، أو أكثر قليلاً،
في تلك السن التي نكون جميعنا فيها وثنيين.
الطفلة تمضي متقافزة، تحيي الخضرة:

- مرحبا يا عشب!

- صباح الخير يا عشب!

تتوقف بعد ذلك لتسغي إلى العصافير المغردة على شجرة. وتصفق لها.

وفي ظهيرة هذا اليوم، يأتيني طفل في الثامنة، وربما في التاسعة من العمر، حاملاً إليّ في بيتي هدية.
إنها محفظة ممتلئة برسوم.

الهدية آتية من إحدى مدارس مونتيفيديو، من حي رابية فيكتوريا. ويقدمها إليّ الفتى موضحاً:

- هذه الرسوم هي نحن.

21 تشرين الثاني

المباراة الأشد حزناً في التاريخ

في 1973 كانت تشيلي بلداً أسيرة الدكتاتورية العسكرية، وقد تحول استاد الوطني إلى معسكر اعتقال وحجرة تعذيب. كان مقرراً أن يتنافس المنتخب التشيلي مع الاتحاد السوفييتي في مباراة حاسمة للتصفيات إلى كأس العالم. صممت دكتاتورية بينوشيت على أن تجري المباراة في استاد الوطني، نعم أو نعم. السجناء الذين يضمهم استاد نُقلوا بسرعة، وفحصت أعلى سلطات كرة القدم العالمية اللعب، العشب لا تشوبه شائبة، وأعطت مباركتها. المنتخب السوفييتي رفض اللعب. حضر ثمانية عشر ألف مشجع دفعوا ثمن تذاكر الدخول وهتفوا للهدف الذي أدخله فرانثيسكو بالديس في الرمي الخاوي. لقد لعب المنتخب التشيلي ضد لا أحد.

22 تشرين الثاني

يوم الموسيقى

وفق ما يرويه حَفَظَةُ الذاكرة، كانت الشمس في أزمنة أخرى هي سيدة الموسيقى إلى أن سرقها منها الريح. منذ ذلك الحين، ومن أجل مواسة الشمس، صارت الطيور تقدم لها كونشيرتو مع بداية ونهاية كل نهار.

ولكن الموسيقى هُزمت. فالمغنون المجنحون لم يتمكنوا من منافسة زمجرة وضجيج المحركات التي تحكم المدن الكبرى. لم يعد يُسمع غناء عصفير «البيتيروخو». ودون طائل تمزق العنادل القليلة المتبقية صدورها كي تُسمع، وجهد الشحارير المتزايد من أجل أن يرتفع صوتها أكثر قوض تغريدها.

ولم تعد الإناث تتعرف إلى ذكورها. فأولئك الصادحون البارعون، وذنوو الأصوات الجهيرة التي لا تُقاوم يستدعون الإناث، ولكنها لا تميز في الضجيج شيئاً من أي شيء، وينتهي بها المطاف إلى تقبّل غطاء أي جناحين غريبين.

23 تشرين الثاني

جسد

في هذا اليوم خرجت من المطبعة، في العام 1859، أول نسخة من أصل الأنواع لتشارلز داروين.

في المخطوطة الأصلية، كان للكتاب عنوان آخر. كان اسمه: *Zoonomia*، تكريماً لكتاب آخر لجد تشارلز، إراسموس داروين.

كان السيد إراسموس قد أنجب أربعة عشر ابناً وعدة كتب. وقبل حفيده بسبعين عاماً، كان قد انتبه إلى أن كل ما ينبثق من الطبيعة ويسبح أو يعيش أو يطير له أصل مشترك، وأن ذلك الأصل المشترك ليس يد الرب.

24 تشرين الثاني

جدة

في العام 1974 ظهرت عظامها في التلال الحصوية في أثيوبيا. مكتشفوها أطلقوا عليها اسم لوكي. وبفضل التكنولوجيا المتقدمة، تمكنوا من تقدير عمرها، حوالي ثلاثة ملايين ومئة وخمسة وسبعين عاماً، بزيادة يوم أو نقصان يوم، وكذلك طول قامتها: كانت قصيرة، بطول يزيد قليلاً على المتر. ما سوى ذلك كان استنتاجات، أو ربما تكهنات: كان جسمها مغطى بشعر كثيف، ولم تعد تمشي على أربع قوائم ولكنها تترنح بمشية شمبانزي، ويبيدين تكادان أن تلامسا الأرض، وأكثر من الأرض كانت تروقها قمم الأشجار.

ربما تكون قد ماتت غرقاً في نهر.

ربما كانت تهرب من أسد أو مجهول آخر أبدى اهتماماً بها.

وكانت قد ولدت قبل زمن طويل جداً من النار والكلمة، ولكن ربما كانت تتكلم لغة إشارات وصرخات ربما كانت تعني، أو تريد أن تعني، نضع هذا تحسباً:

أشعر بالبرد،

إنني جائعة،

لا تقركوني وحيطة.

25 تشرين الثاني

يوم مناهضة العنف الأسري

في أدغال أعالي نهر بارانا، تنجو أجمل الفراشات باستعراض

نفسها. تفرد أجنحتها السوداء المبهرجة بلطخات حمراء وصفراء، وتتنقل وهي تخفق بأجنحتها من زهرة إلى زهرة بلا أدنى قلق. بعد آلاف وآلاف السنين، عرف أعداؤها أن هذه الفراشات تحتوي سُمًّا. العناكب، الزنابير، السحالي، الذباب، الخفافيش، تنظر إليها من بعيد، وعن مسافة آمان حذرة.

في 25 تشرين الثاني 1960، ثلاث مناضلات ضد دكتاتورية الجنراليسمو تروخييو جرى تهشيمهن بالهراوى وإلقاء جثثهن في هاوية عميقة في جمهورية الدومينيكان. إنهن الأخوات ميرابال. كنَّ الأجمل، وكانوا يدعونهنَّ *الفراشات*.

في ذكراهن، في ذكرى جمالهن العصي على الأكل، هذا اليوم هو اليوم العالمي لمناهضة العنف الأسري. أي: مناهضة عنف التروخيين الصغار الذين يمارسون الدكتاتورية داخل كل بيت.

26 تشرين الثاني

لورا وبول

عندما قرأ كارل ماركس الحق في الكسل، قال:

– إذا كانت هذه ماركسية، فأنا لستُ ماركسياً.

لأن مؤلفه بول لافارج يبدو فوضوياً أكثر منه شيوعياً، ويكشف عن ميل مريب إلى الجنون التروبيكالي.

كما أن ذلك الكوبي، ببشرته غير الصافية جداً، لم يرقُ له كصهرٍ أيضاً.

– الحميمية المفرطة ليست واردة – هكذا حذره، كتابةً، مذ بدأ بول

يحقّق تقدماً خطيراً في علاقته مع ابنته لورا، وأضاف ماركس بوقار:
- من واجبي أن أفرض عقلانيتي في مواجهة طبعك الكريولي.
العقلانية أخفقت.

لورا ماركس وبول لافارج تشاطرا الحياة طوال أكثر من أربعين عاماً.

وفي هذه الليلة من عام 1911، حين لم تعد الحياة حياة، رحلا متعانقين، في سريرهما المعهود، الرحلة الأخيرة.

27 تشرين الثاني

عندما تاججت مياه ريو دي جانييرو

في 1910 انتهى تمرد البحرية البرازيلية.
لقد هُدد المتمردون مدينة ريو دي جانييرو بطلقات مدفعية تحذيرية:
- وقف عقوبة الجلد بالسياط، وإلا سندمر المدينة.
كان الجلد بالسياط على متن السفن الحربية أمراً عادياً، وفي أحيان كثيرة يموت البحارة المعاقبون.
وبعد خمسة أيام انتصرت حركة التمرد، وألقي بالسياط إلى أعماق الماء، وقام منبوذو البحر باستعراض، وهتف لهم، في شوارع ريو.
بعد زمن من ذلك، جواو كانديدو، ابن العبيد الذي صار أميرالاً بقرار من المتمردين، عاد ليكون جندياً عادياً.
وبعد زمن من ذلك، طُرد من الخدمة.
وبعد زمن من ذلك، اعتُقل وسُجن.

وبعد زمن من ذلك، احتجز في مستشفى للمجانين.
إن له تمثالاً، هذا ما تقوله الأغنية، في أحجار المرافق الثقيلة.

28 تشرين الثاني

الرجل الذي يُعَلِّمُ لِيَتَعَلَّمَ

في العام 2009 تقدمت الحكومة البرازيلية باعتذار من باولو فريير.
ولكنه لم يتمكن من شكرها على التفاتتها، لأنه كان قد مات منذ اثني
عشر عاماً.

لقد كان باولو نبي التعليم المتكافل.

في بداياته كان يعطي دروساً تحت شجرة. وقد محا أمية آلاف
وآلاف عمال السكر في بيرنامبوكو، كي يكونوا قادرين على قراءة العالم
والمساعدة في تغييره.

زجت به الدكتاتورية العسكرية في السجن، وطردته من البلاد
ومنعته من العودة.

وفي المنفى جال باولو على مناطق كثيرة من العالم. وكلما علّم أكثر
ازداد تَعَلُّماً.

توجد اليوم ثلاثمئة وأربعون مدرسة برازيلية تحمل اسمه.

29 تشرين الثاني

بطولة العالم هي الرعب

في مسألة ازدراء الحياة الإنسانية كان هتلر شخصاً لا يُضاهى.
ولكنه وجد منافسين له.

في العام 2010، اعترفت الحكومة الروسية رسمياً بأن ستالين هو صاحب مجزرة أربعة عشر ألف وخمسمئة أسير بولوني في كاتين، وفي خاركيف ومينوج. وقد أعدم البولونيون بطلقة في مؤخرة الرأس في ربيع العام 1940، وكانت الجريمة تنسب دوماً إلى ألمانيا النازية. في العام 1945، وحين كان انتصار الحلفاء أكثر من جلي، تعرضت مدينة دريسدن الألمانية ومدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين للتدمير حتى آخر حجر فيها. المصادر الرسمية للدول المنتصرة قالت إنها أهداف عسكرية، ولكن آلاف وآلاف القتلى كانوا جميعهم مدنيين، ولم يظهر بين الأنقاض ولو مجرد مقلاع لصيد العصافير.

30 تشرين الثاني

موسم في الضردوس

في العام 2010 بدأ مؤتمر دولي آخر، المؤتمر رقم ألف وواحد، لحماية البيئة.

وكما هي العادة، أنشد له مدمرو الطبيعة، قصائد حب.

حدث ذلك في كانكون.

أفضل مكان، مستحيل.

للوهلة الأولى، كانكون هي بطاقة بريدية، ولكن قرية الصيادين القديمة هذه تحولت، خلال نصف القرن الأخير، إلى فندق عملاق وبالق الحدائة يضم ثلاثين ألف غرفة، سَحَق على طريق ازدهاره الكثبان الرملية، والبحيرات، والشواطئ البكر، والغابات العذراء وكافة العوائق التي اعترضت بها الطبيعة تطوره الناجح. حتى رمل الشواطئ ضُحي به، وكانكون تشتري الآن رملًا غريباً عنها.

كانون الأول / ديسمبر

1 كانون الأول وداعاً للسلاح

رئيس كوستاريكا، دون بيبى فيغيريس، قال:
– الشيء الوحيد السيئ هنا هو كل شيء.
في العام 1948 ألغى القوات المسلحة.
كثيرون تنبؤوا بأن ذلك سيكون نهاية العالم، أو نهاية كوستاريكا
على الأقل.
لكن العالم مازال يدور، وكوستاريكا نجت من الحروب والانقلابات
العسكرية.

2 كانون الأول يوم مناهضة العبودية

في أواسط القرن التاسع عشر قام جون براون – أبيض، خائن
لعرقه، وخائن لطبقته – بالسطو على ترسانة عسكرية في فيرجينيا، كي
يقدم أسلحة لعبيد المزارع الزنوج.
الكولونيل روبرت لي، قائد الفرقة العسكرية التي حاصرت براون
وقبضت عليه، رُفِعَ إلى رتبة جنرال. وقاد بعد فترة قصيرة الجيش الذي

دافع عن العبودية خلال حرب الجنوب الطويلة ضد شمالي الولايات المتحدة.

الجنرال لي، جنرال النحاسين، مات في فراشه. فقد سُرح من الخدمة بتشريفات عسكرية، وموسيقى حربية، وقذائف مدفعية، وخطابات أشادت بفضائل عبقرى العسكرية الأمريكية العظيم. أما براون، صديق العبيد، فقد أُدين لهجومه على ترسانة السلاح بتهم: قتل، تأمر، خيانة الدولة. ومات مشوقاً عام 1859، في هذا اليوم. وهذا اليوم، بالمصادفة، هو يوم مناهضة العبودية.

3 كانون الأول

الملك الذي قال يكفى

طوال أربعة قرون، تخصصت أفريقيا السوداء في بيع اللحم البشري. فبحسب التقسيم الدولي للعمل، كان قدرها أن تُنتج عبيداً للسوق العالمية.

في 1720، رفض ملك ذلك.

آغاغا ترودو، ملك داهومي، أحرق الحصون الأوروبية وخرّب سفن العبيد.

تحمل طوال عشر سنوات مضايقات تجار العبيد وهجمات المعالك المجاورة.

لم يستطع تحمل المزيد.

كانت أوروبا ترفض بيعه أسلحة ما لم يدفع الثمن لِحماً بشرياً.

4 كانون الأول ذاكرة خضراء

الأشجار، مثلنا، تتذكر.
ولكنها لا تنسى: تشكل حلقات في جذعها، وفي حلقة بعد حلقة
تحفظ ذاكرتها.

الحلقات تروي تاريخ كل شجرة وتكشف عمرها، وهو يصل في
بعض الحالات إلى ألفي عام. وتروي أي مناخات عرفتتها، وأي
فيضانات وجفاف عانتها، وتحفظ بآثار الحرائق، والأوبئة، والهزات
الأرضية التي هاجمتها.

في يوم مثل هذا اليوم تلقى دارس للموضوع، يدعى خوسيه آرماندو
بونينسيغنا، من أطفال مدرسة أرجنتينية أفضل تفسير ممكن:
- الأشجار الصغيرة تذهب إلى المدرسة وتتعلم الكتابة. أين تكتب؟
في كرشها. وكيف تكتب؟ بحلقات. وهذه الحلقات يمكن قراءتها.

5 كانون الأول إرادة الجمال

أفتى رئيس الجمعية الإسبانية للتاريخ الطبيعي، عام 1886، بأن
رسوم مغارة ألتاميرا لا ترجع إلى آلاف السنين.
- إنها أعمال تلميذ متوسط الموهبة لمدرسة الحدائثة الحالية —
أكد، مؤكداً شكوك جميع الخبراء تقريباً.
بعد عشرين عاماً من ذلك اضطر أولئك الخبراء إلى الاعتراف بأنهم
كانوا مخطئين. وهكذا ثبت أن إرادة الجمال، كما الجوع، وكما الشهوة،

قد رافقت المغامرة الإنسانية في العالم منذ الأزل.

قبل زمن طويل من هذا الذي نسميه حضارة، كنا قد حولنا عظام الطيور إلى نايات، وكنا قد ثقبنا القواقع لنصنع عقوداً، وكنا قد أهدعنا ألواناً بخلط تراب ودم ومسحوق أحجار وعصارة نباتات، من أجل تزيين كهوفنا ومن أجل أن يكون كل جسد من أجسادنا لوحة مشاءة.

عندما وصل الفاتحون الإسبان إلى فنزويلا، وجدوا أن هنود الهواستيكو يمضون عراة تماماً، هم وهن، وبأجساد ملونة بأصباغ من أجل الإعجاب الذاتي واجتذاب الإعجاب:

– هؤلاء هم الأسوأ – حكم عليهم الفاتح الإسباني برنال دياث دل

كاستييو.

6 كانون الأول

درس في المسرح

في هذا اليوم من العام 1938، قامت لجنة النشاطات المعادية لأمريكا التي كانت تعمل في واشنطن باستجواب هيلي فلانغس.

وكانت هيلي تدير مسارح عامة.

جو ستارنس، النائب عن ولاية ألاباما، تولى مسؤولية استجوابها.

وحول مقال كتبته هيلي، سألها:

– أنت تستشهادين باقتباس من المدعو مارلو. هل هو شيوعي؟

– المندرة، ولكنه استشهاد من كلام لكريستوفر مارلو.

– أخبريني من يكون، كي تتشكّل لدي مرجعية دقيقة.

– لقد كان أعظم مسرحي إنكليزي في المرحلة السابقة لشكسبير.

- أجل، بالطبع، فحتى في المسرح الإغريقي نجد أناساً من هؤلاء الذين يسميهم البعض شيوعيين.
- صحيح جداً.
- أظن أن السيد يوربيدس نفسه كان مذنباً في تعليم الوعي الطبقي، أليس كذلك؟
- يبدو لي أن جميع المسرحيين الإغريق كانوا مذنبين.
- وبهذا لا يمكننا أن نحدد متى بدأ هذا الأمر - تنهد النائب ستارنس.

7 كانون الأول

ليس للظن عمر

في العام 1633، بزيادة يوم أو نقصان يوم، ولد غريغوريو دي ماتوس، أفضل شاعر عرف كيف يسخر من البرازيل الاستعمارية.

في العام 1969، في أوج الدكتاتورية العسكرية، ندد قائد المنطقة العسكرية السادسة بقصائده الهدامة، والتي كانت تنام في إغفاءة العاديين منذ ثلاثة قرون في مكتبة أمانة الثقافة بمدينة سان سلفادور دي باهيا، وألقى بها إلى المحرقة.

وفي عام 1984، في بلد مجاور، حظرت دكتاتورية أروغواي العسكرية عملاً مسرحياً كان سيبدأ مسرح أريكين بعرضه، لأنه عمل هجائي ضد النظام، والانضباط، والجندي، والقانون. العمل المسرحي المذكور، الطرواديات، كان قد كتبه يوربيدس قبل أربعة وعشرين قرناً.

8 كانون الأول فن الخلايا العصبية

في العام 1906 تلقى سنتياغو رامون آي كاخال جائزة نوبل في الطب.

أراد أن يكون رساماً.

لم يسمح له أبوه بذلك، ولم يجد مفرأ من التحول إلى أن يكون أهم عالم إسباني في كل الأزمنة.

توصل وهو يرسم إلى ما اكتشفه. رسومه للدماغ تنافس لوحات، أعمال ميرو وكلي.

- حديقة الخلايا العصبية تقدم مؤثرات فنية لا تُقارن - هذا ما اعتاد قوله.

كان يستمتع بارتياح أسرار الجملة العصبية، ولكنه يستمتع أكثر برسمها.

وأكثر من ذلك، أكثر بكثير، كان يستمتع بأن يقول بصوت عال ما يفكر فيه، وهو يعلم أن ذلك سيمنحه أعداء أكثر من الأصدقاء.

- كان يسأل متفاجئاً أحياناً:

- أليس لك أعداء؟ كيف ذلك؟ ألم تقل الحقيقة، ولم تحب العدالة قط؟

9 كانون الأول فن الحياة

في العام 1986، ذهبت جائزة نوبل بالطب إلى ريتا ليفي مونتالشيوني.

في الأزمنة الصعبة، خلال دكتورية موسولينى، درست ريتا الألياف العصبية، خفية، في مخبر مرتجل في أحد أركان بيتها. بعد سنوات من ذلك، وبعد عمل كثير، اكتشفت تحريّة أسرار الحياة العنيدة تلك البروتين المسؤول عن تكاثر الخلايا البشرية، وتلقت جائزة نوبل.

كانت تقترّب من الثمانين، وقد قالت:

– جسدي يتجدد، أما الدماغ فلا. عندما لا أعود قادرة على التفكير، لا أريد إلا أن تساعدوني على الموت بكرامة.

10 كانون الأول

حرب مباركة

في العام 2009، وفي يوم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تلقى الرئيس باراك أوباما جائزة نوبل للسلام.

في خطاب تقديمه الشكر، لم يخطر للرئيس ما هو أفضل من تكريم الحرب: الحرب العادلة والضرورية ضد الشر.

قبل أربعة قرون ونصف قرن، عندما لم تكن جائزة نوبل موجودة، ولم يكن الشر يكمن في الأراضي التي تضم بترولاً وانما في تلك التي تُعبد بالذهب والفضة، قدّم الحقوقي الإسباني، خوان خينس دي سيبولبيدا، أيضاً تعريفه للحرب العادلة والضرورية ضد الشر.

في ذلك العصر، أوضح خينس أن الحرب ضد الهنود في أمريكا ضرورية، باعتبار البشر البرابرة عبيداً بالطبيعة، وجعله وغير

إنسانيين، والحرب عادلة لأنه من العدل، بفعل الحق الطبيعي، أن ينصاع الجسد للروح، والرغبة للعقل، والبهايم للإنسان، والمرأة للزوج، والنقص للكمال، والأسوأ للأفضل، من أجل خير الجميع.

11 كانون الأول

الشاعر الذي كان حشداً

الاعتقاد الشائع أن فرناندو بيسوا، شاعر البرتغال، كان يحمل في داخله خمسة أو ستة شعراء.

في أواخر العام 2010، أنهى الكاتب البرازيلي جوزيه باولو كافالكانتي أبحاثه التي استمرت لسنوات حول من حلم في أن يكون كثيرين.

اكتشف كافالكانتي أن بيسوا لم يكن يتضمن خمسة، ولا ستة: كان يضم مئة وسبعة وعشرين نزيلاً في جمده الذحيل، وكل منهم باسمه، وأسلوبه، وسيرته، وتاريخ ميلاده وبرجه. نزلاؤه المئة والسبعة والعشرون وقَّعوا بأسمائهم قصائد، ومقالات، ورسائل، وأبحاثاً، وكتباً...

بعضهم نشروا كتابات نقدية مسمومة ضده، ولكن بيسوا لم يطرد قط أياً منهم، على الرغم من أنه كان من الصعب جداً، كما افترض، إقامة أود مثل تلك الأسرة كبيرة العدد.

12 كانون الأول

توانتزين تسمى غوادالوبي

بعد زمن طويل من إنجابها يسوع، سافرت مريم العذراء إلى المكسيك.

وصلت إليها في العام 1531. وقدمت نفسها باسم عذراء غوادالوبي، وبمصادفة سعيدة جاءت الزيارة بالضبط في المكان الذي يوجد فيه معبد تونانتزين، الربة الأمّ لدى الأزتيك.

تحولت عذراء غوادالوبي، منذ ذلك الحين، لتكون رمز تجسيد الأمة المكسيكية: تونانتزين تعيش في العذراء، والمكسيك ويسوع لهما الأم نفسها.

في المكسيك، كما في سائر أرجاء أمريكا، الآلهة المحظورون اندسوا في رموز الألوهة الكاثوليكية، عن طريق الهواء، وهم يقيمون في أبداننا.

تلالوك يُنزل المطر في القديس يوحنا المعمدان، وفي القديس إيسيدور الفلاح يُزهر شوتشيببياً.

الرب الأب هو الأب شمس.

تيزكاتليبوكا، يسوع المصلوب، يشير من الصليب إلى الجهات الأربع التي تهب منها رياح عالم السكان الأصليين.

13 كانون الأول

يوم الغناء الكورالي

في العام 1589 قرر البابا سيكستو الخامس أن يغني الخصيان في كنيسة القديس بطرس.

وكي يكون المغنون مغنيات، سويرانو قادرين على أداء ترنيمات
حادة وحلقية دون انقطاعات، كانوا يقطعون خصاهم.
طوال أكثر من ثلاثة قرون، كان الخصيان يحتلون مكان النساء في
كورال الكنائس: لقد كانت محظورة أصوات الخاطئات من بنات حواء
اللاتي يلطخن قداسة المعابد.

14 كانون الأول

الراهب الذي هرب سبع مرات

في العام 1794، وقّع مطران المكسيك، ألونسو نونيث دي هارو،
حكم الإدانة الأبدي على الراهب سيرفاندو تيريسا دي ميير.
في ذكرى زيارة مريم العذراء للأراضي المكسيكية، ألقى الراهب
سيرفاندو موعظة، بحضور نائب الملك والمطران وأعضاء المجمع الملكي.
كانت قذيفة مدفع أكثر مما هي موعظة. فقد تجرأ الراهب
سيرفاندو على التأكيد أنه ليس مصادفة ولا توافقاً عبثياً أن تكون مريم
العذراء هي الربة الأرتيكية تونانقزبن، وأن يكون توما الرسول هو
كيتزالكواتل، الأفعى المجنحة التي يعبدها الهنود.

ولارتكابه ذلك التجديف الفاضح، جُرد الراهب سيرفاندو من لقبه
كدكتور في الفلسفة ومُنع، بصورة أبدية، من التدريس، وتلقي
الاعترافات، وإلقاء المواعظ وحُكم عليه بالنفي إلى إسبانيا.

منذ ذلك الحين سُجن سبع مرات وهرب من السجن سبع مرات،
حارب من أجل الاستقلال المكسيكي، كتب أقسى الافتراءات وأشدّها

سخرية ضد الإسبان وكتب كذلك أبحاثاً جدية حول مشروع جمهورية حرة من القيود الاستعمارية والعسكرية، وكان يقترحها للأمة المكسيكية عندما تصبح سيدها نفسها.

15 كانون الأول

رجل أخضر

كان يمكن لهذا اليوم أن يكون يوم عيد ميلاد تشيكو مينديس.
كان يمكن له أن يكون.

ولكن قتلة الأمازون يقتلون الأشجار المزعجة، ويقتلون الناس المزعجين أيضاً.
الناس الذين مثل تشيكو مينديس.

أبواه، عبيد بسبب الشكوك، وصلا إلى مزارع المطاط آتيين من صحراء سيارا البعيدة.

وتعلم هو القراءة في الرابعة والعشرين من عمره.

نظم في الأمازون نقابات وجمع شمل الوحيدين، عمال مستعبدين، هنود مطرودين من أرضهم، ضد ملتهمي الأراضي وقتلتهم المأجورين، وضد خبراء البنك الدولي الذين يمولون تسميم الأنهار وقصف الأدغال.
وقد وُسم بعلامة الموت.

دخلت إليه الرصاصات من النافذة.

16 كانون الأول

كافح الفقر:

جَمَل الأرقام

خلال حوالي أربع سنوات، وسائل التضليل الإعلامي الكبرى احتفلت، بأبواق وطبول، بانتصار الحرب على الفقر. سنة بعد سنة يُدحر الفقر متراجماً.

هكذا كانت الحال حتى هذا اليوم من عام 2007. عندئذ قام البنك الدولي، بالتعاون مع صندوق النقد الدولي وبعض هيئات الأمم المتحدة، بتحديث لوائح القوة الشرائية لسكان العالم. ففي تقرير لبرنامج المقارنة الدولي عرف انتشاراً محدوداً أو معدوماً، صوب الخبراء بعض معطيات القياسات السابقة. واكتشفوا، بين أخطاء صغيرة أخرى، أن عدد الفقراء قد زاد خمسين مليوناً عما سُجّل في الإحصائيات الدولية. هم، أعني الفقراء، يعرفون ذلك.

17 كانون الأول

الشعلة

في صباح هذا اليوم من العام 2010، كان محمد بوعزيزي، كما في كل يوم، يجر عربة فاكهته وخضاره في مكان ما من تونس. وكما في كل يوم، جاء الشرطيون لیتقاضی رسوم اخترعوها هم أنفسهم.

ولكن محمد لم يدفع في هذا الصباح.

ضربه الشرطيون، قلبوا عربته وداسوا فاكهته وخضاره المبعثرة على الأرض.

عندئذ بلل محمد جسده بالبنزين، من الرأس حتى القدمين، وأشعل النار بنفسه.

هذه النار الصغيرة التي لا تتجاوز طول قامة أي بائع جوال، صارت خلال أيام قليلة بحجم العالم العربي بأسره، المشتعل بأناس ملؤا من كونهم لا شيء.

18 كانون الأول

يوم الهجرة

آدم وحواء كانا أول المنفيين، أول من حُكم عليهما بالهجرة في تاريخ البشرية.

حسب الرواية الرسمية، تعرض آدم لإغواء حواء: هي من قدّمت إليه الثمرة المحرمة، وبسبب حواء طُردا من الفردوس.

ولكن... هل كان الأمر على هذا النحو حقاً؟ أم إن آدم فعل ما فعله لأنه أراد فعله؟

ربما لم تقدّم له حواء أي شيء، ولم تطلب منه شيئاً.

ربما قرر آدم قضم الثمرة المحرمة حين علم أن حواء قد عضتها.

ربما تكون هي قد فقدت امتياز الخلود، واختار آدم أن يشاطرها عقوبتها.

فصار بشراً فانياً، ولكنه فان لديه من ترافقه.

19 كانون الأول

منفية أخرى

في أواخر العام 1919، غادر مئتان وخمسون أجنبياً غير مرغوب فيهم من ميناء نيويورك مع منعهم من العودة إلى الولايات المتحدة. وخرجت بينهم إلى المنفى إيما غولدمان، أجنبية شديدة الخطورة، سُجنت عدة مرات لمعارضتها الخدمة العسكرية الإجبارية، ولتوزيعها وسائل لمنع الحمل، وتنظيمها إضرابات، ولاعتداءات أخرى على الأمن الوطني. بعض عبارات إيما:

الدكارة هي اسمى انتصار للنزوت.

هل مثلك يا ترى ما هو أشد رغبة، وأكثر إجراماً، من وظيفتنا الأمومية المحببة والمقدسة؟

ملكوت السماء يجب أن يكون مكاناً مملأ بصورة فظيعة إذا كان فقراء الروح يعيشون هناك.

إذا كان التصويت بغير شياً، فهو غير شرعي.

كل مجتمع له مجرموه الذين يستحقهم.

الحروب جميعها هي حروب بين لصوص جبناء جداً لا يصلحون للقتال، فيرسلون آخرين ليموتوا بدلاً منهم.

20 كانون الأول

اللقاء

كان الباب مغلقاً:

- من الطارق؟

- إنني أنا.

- لا أعرفك .

وظل الباب مغلقاً .

في اليوم التالي :

- من الطارق؟

- إنني أنا .

- لا أعرف من أنت .

وظل الباب مغلقاً .

وفي اليوم التالي :

- من الطارق؟

- إنني أنا .

وانفتح الباب .

(للشاعر الفارسي فريد الدين العطار الذي ولد عام 1119 ، في

مدينة نيسابور)

21 كانون الأول

سعادة القول

يمكن لهذا اليوم أن يكون أي يوم آخر .

فالأيام عن أنخيدوانا ليست معروفة .

ولكن يُعرف أنه منذ أربعة آلاف وثلاثمئة عام ، عاشت أنخيدوانا

في المملكة التي اخترعت فيها الكتابة ، وصارت تسمى اليوم العراق .

وكانت أول كاتبة ، أول امرأة وقّعت على كلماتها .

وكانت كذلك أول امرأة أصدرت قوانين ،

وكانت فلكية، وتعرف بالنجوم،
وعانت ألم المنفى،
وبينما هي تكتب غُنت للربة إنانا، القمر، حاميتها، واحتفت
بسعادة الكتابة التي هي عيد،
مثل الولادة
الإيجاب،
الحبل بالعالم

22 كانون الأول

سعادة الطيران

هنالك من يؤكدون أن الأخوين رايت هما مخترعا الطائرة، في مثل
هذه الأيام الأخيرة من العام 1904، لكن آخرين يؤكدون أن سانتوس
دومونت، بعد سنتين من ذلك، هو من اخترع الآلة الأولى الجديدة بهذا
الاسم.

الشيء الوحيد المؤكد بصورة يقينية كاملة هو أنه قبل ثلاثمئة
وخمسين مليون عام، برزت جوينحات لأجساد اليعاسيب، الجوينحات
تحولت إلى أجنحة واصلت النمو على امتداد بضعة ملايين عام، لمجرد
الرغبة في الرحيل.

اليعاسب هي أول المسافرين جواً.

23 كانون الأول

انبعاث

في العام 1773 اهتزت الأرض من الجوع والتهمة المدينة المسماة الآن أنتغوا، وكانت طوال أكثر من قرنين مملكة في غواتيمالا ومناطق أخرى. ولكن في الأعياد الدينية، تنتصب أنتغوا من بين الأنقاض. شوارعها سجاجيد أزهار، أزهار ترسم شمساً وفاكهة وطيوراً كثيرة الريش، وعندئذ لا يُعرف إن كانت الأقدام التي تمشي تحتفل باقتراب ميلاد يسوع أم بانبعاث المدينة. الجيران نسجوا، بأيدي صبورة، بتلة فبتلة، وورقة فورقة، تلك الحداثق الشوارعية، كي تكون أنتغوا خالدة طوال استمرار العيد.

24 كانون الأول

معجزة

في ليلة عيد الميلاد عام 1991، مات الاتحاد السوفييتي وفي مذوده ولدت الرأسمالية الروسية. الديانة الجديدة حققت المعجزة. من شهدوا الرؤيا هناك: موظفون تحولوا إلى رجال أعمال، وقادة من الحزب الشيوعي تحولوا عن ديانتهم وانتقلوا إلى أثرياء جدد فاخرين، وضعوا راية مزاد تصفية للدولة واشتروا بسعر موزة كل ما يمكن شراؤه في بلادهم وفي العالم. لم تنج حتى نوادي كرة القدم.

25 كانون الأول

الرحلة إلى الشمس

لم يكن بإمكان يسوع الاحتفال بعيد ميلاده، لأنه لم يكن له يوم ميلاد.

في العام 354، قرر مسيحيو روما أنه قد ولد في 25 كانون الأول. هذا اليوم، كان وثنيو شمالي العالم يحتفلون فيه بنهاية أطول ليلة في السنة وبمجيء إله الشمس الذي يأتي ليمزق الظلمات. إله الشمس وصل إلى روما عن طريق بلاد فارس. كان اسمه ميترا. وتحول اسمه إلى يسوع.

26 كانون الأول

الرحلة إلى البحر

في الأيام التي انقضت، كان أبناء الشمس وبنات القمر يعيشون معاً في مملكة داهومي الأفريقية. كانوا يعيشون معاً متعانقين، متحابين، إلى أن أبعدهم الآلهة وحكمت عليهم بالتباعد. منذ ذلك الحين صار أبناء الشمس أسماك البحر وبنات القمر نجوم الليل. نجوم البحر لا تسقط من السماء: إنها تسافر من السماء، وتبحث في البحر عن عاشقها الضائعين.

27 كانون الأول

الرحالة

ولد ماتسو باشو منذوراً لأن يكون ساموراي، ولكنه رفض الحرب وصار شاعراً، صار شاعراً جوالاً.

بعد شهر من وفاته، في العام 1694، صارت دروب اليابان تفتقد خطوات صندله المجدول من القش والكلمات التي كان يتركها معلقة في السقوف التي تمنحه مأوى. مثل هذه:

الأيام والشهور رحالة أبديون.

مكثا تمضي السنون.

يرتحلون كل دقيقة من أمامهم من مخزون

البحر أو يمتطون اليابسة،

إلى أن يُهزموا تحت وطأة الزمن.

مسنون أكثر يموتون في الرحلة.

أنا انصعتُ فقط لإغواء الغيوم، متشربلات السماء.

28 كانون الأول

حينئذ إلى المستقبل

أوسكار نيماير دخل في العام 2007 عامه المئة من العمر وثمانية أعمال جديدة قيد التنفيذ.

المهندس المعماري الأكثر نشاطاً بين جميع المعماريين لا يكلّ، مشروعاً إثر مشروع، من تحويل منظر العالم.

عيناه الهرمتان لا تصعدان إلى السماء العالية التي تُذِلُّنا، ولكنهما جديدتان دوماً من أجل البقاء، تتأملان بإعجاب إبحار السُحب التي

كانت مصدر إلهامه في إبداعاته الجديدة.

وهناك، في الغمام، يكتشف كاتدرائيات، حدائق أزهار غير معقولة، مسوِّخاً، خيولاً تندفع خبيباً، طيوراً كثيرة الأجنحة، بحاراً تنفجر، زبداً يطير، ونساء يتموجن وفي الريح يقدمن أنفسهن ويمضين مع الريح.

في كل مرة يُدخله فيها الأطباء إلى المستشفى، معتقدين أن ساعته قد أزفت، يقتل أوسكار الضجر بنظم أغنيات سامبا يغنيها مع المرضى الآخرين.

وهكذا فإن صياد الغيوم هذا، مطارِد الجمال المتهرب، خَلَف وراءه قرنه الأول في الحياة، وواصل قُدماً.

29 كانون الأول

الطريق هو الوجهة

كانت حفلة الشرب غزيرة، لقول وداعاً للعام الذي سينتهي عما قريب، وكنت أمضي تائهاً في شوارع قادس.

سألتُ كيف يمكن الذهاب إلى السوق. أبعد رجلٌ عجوز ظهره عن الجدار وأوصاني بقرف شديد وهو يشير إلى لا شيء:

– افعل ما يقوله لك الشارع.

قال لي الشارع، ووصلت.

قبل بضعة ملايين من السنين، أبحر نوح بلا بوصلة ولا أشرعة ولا دفة.

الفلك مضى على هواه، حيث قالت له الريح، ونجا من الطوفان.

30 كانون الأول من موسيقى نحن

عندما أصبح السمع
أسمع موسيقى أنية من بعيد،
من الماضي،
من أزمنة أخرى،
من حيوات لم تعد موجودة
ربما حيواتنا
مصاغة من موسيقى
في يوم الإنبعاث
ستفتح عيني من جديد في إشبيلية.
(عن أبي عبد الله، آخر ملوك إسبانيا المسلمة)

31 كانون الأول رحلة الكلمة

في العام 2008، كتب سيرينوس سامونيكوس في روما كتاباً، شؤون سرية، يميظ فيه اللثام عن اكتشافاته في فن الشفاء.
هذا الطبيب الخاص لإمبراطورين، والشاعر، وصاحب أفضل مكتبة في عصره، يقترح بين وصفات علاج أخرى، منهجاً لا يخطئ لتجنب الإصابة بالحمى الثلاثية وإبعاد الموت: يجب أن تُعلق على الصدر كلمة لحماية النفس بها ليلاً ونهاراً.
إنها كلمة «أبراكادابرا» وهي تعني بالعبرية القديمة، ومازالت تعني: أرسل تارك حتى النماية.

هل تعلم...

... أن أحد أكثر الأحداث الدينية تداولاً هو قضم آدم وحواء التفاحة، ولكنه غير موجود في الكتاب المقدس.

... وأن الإغريقي اراتوستينس قد حسب مقاس خصر العالم منذ ألفين وثلاثمئة عام، وأنه أخطأ بتسعين كيلومتراً فقط.

... وأن أرسطو كتب عن المرأة بأنها «رجل غير مكتمل».

والقدّيس توما الاكويّني قال إنّها «خطأ من الطبيعة».

... وأنه حتى العام ١٩٩٠، كان الشذوذ الجنسي يُعتبر مرضاً عقلياً حسب منظمة الصحة العالمية.

... وأن من حضروا جنازة كارل ماركس كانوا أحد عشر شخصاً، بمن فيهم موظف الدفن.

... وأن نيلسون مانديلا ظل حتى العام ٢٠٠٨ ضمن قائمة الإرهابيين الخطرين على أمن الولايات المتحدة الأمريكية.

... وأنهم في هايتي، وفق تقليد قديم، يمضون في الموكب الجنائزي حاملين النعش في حركة متعرجة ويكثير من اللف والدوران.

من أجل تضليل المتوفى بحيث لا يتمكن من العثور على طريق العودة إلى البيت.

... وأن لغة تموت في العالم كل أسبوعين.

